العيد الذهبي لاتحاد الكتاب العرب
2019 - 1969

الأدبي الأسبوع

www.awu.sy

الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي - "السنة الواحدة والثلاثون" العدد: "1705" الأحد 22/11/2020م- 7 ربيع الثاني 1442 | 12 صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

الشيخ محمد عياد الطنطاوي
1278.1225 هـ
1861 . 1710م

•مالك صقور

كلمة أولى

محمد عياد الطنطاوي

في عام 1919 احتفل بالذكرى المئوية لتأسيس جامعة سانت بطرسبورغ، وتم الاستعداد لهذا الاحتفال قبل الثورة الشيوعية عام 1916، وتم الحديث عن تاريخ (الكراسي) المتتابعة في هذه الجامعة، فأول أستاذ كان الفرنسي ديمانج (1819 . 1822) والثاني البولوني سنكوفسكي (1822.1847). والثالث كان عربياً هو الشيخ محمد عيد الطنطاوي (1847.1861).

يذكر أغناطيوس كراتشكوفسكي: «.. وقد انفتحت لنا، نحن المستعربين، صورة عجيبة مشوقة» وفي أثناء الحديث عن الأساتذة الذين شغلوا الكراسي يُذكر أن الأستاذ الأول لم يترك أي أثر في مجال العلم سوى ما يُنسب إليه في تعليم اللغة الفارسية، والثاني وجدت له مؤلفات، ولكن بوصفه كاتباً لا مستعرباً، أما فيما يتعلق بالشيخ الطنطاوي فقد جمع أكثر من مئة وخمسين مخطوطة آلت كلها إلى مكتبة الجامعة، فمن هو الشيخ محمد عياد الطنطاوي؟

ويروي كراتشكوفسكي عن هذا الشيخ الأستاذ الجليل الطنطاوي، أنه في الثاني والعشرين من شهر آب عام 1840 ظهرت مقالة غيرعادية في جريدة «أخبار سانت بطرسبورغ». وكان شارع نيفسكي الشهير، يلعب دوراً خاصاً في ذلك الوقت لسكان بطرسبورغ، وكل من قرأ قصص غوغول يتذكر قصته المرتبطة باسم هذا الشارع، يقول كراتشكوفسكي: بدأت المقالة بعبارات رنانة بطريقة رومانتيكية عالية: «تسألني من هذا الرجل الوسيم في حلته الشرقية، وعمامته البيضاء، ولحيته السوداء كالقطران، وعيونه الحيّة المتّقدة شرراً، ووجهه المعبّر الذكي المحترق لا بشمسنا الشمالية الباهتة، لقد قابلته مرتين من قبل، يسير مختالاً على الجانب المشمس من شارع نيفسكي الرئيسي وكعضو دائم في نيفسكي في ذلك الهواء الجميل، سرعان ما تراه، لا بد أنك تريد أن تعرف من هو؟

ويستطرد كاتب المقالة فيقول: إنه الشيخ محمد عيد الطنطاوي الذي رحل من شاطئ النيل ليشغل الكرسي الخالي للغة العربية في معهد اللغات الشرقية التابع لوزارة الخارجية.

ويختم كاتب المقالة مقالته هكذا: «الآن تستطيعون تماماً أن تتعلموا التحدث باللغة العربية دون أن تغادروا بطرسبورغ». كان كاتب المقالة هو سافيلييف وكان حينها تلميذاً شاباً للمستعرب سينكوفسكي وقد صار فيما بعد عالماً معروفاً في الآثار والنقود القديمة.

وبعد عشرين عاماً على ظهور تلك المقالة، عرف قراء «أخبار سانت بطرسبورغ» أن قبراً جديداً ظهر قرب قرية (فولكوفو) في المقبرة التترية، على القبر شاهدة حسنة مكتوب عليها مكتوب باللغة العربية واللغة الروسية، النص الروسي: «الأستاذ بجامعة سانت بطسبورغ والمستشار برتبة عقيد، الشيخ محمد عياد الطنطاوي، توفي في 27/ تشرين أول (أكتوبر) عام 1881 وله من العمر (50 عاماً).

هنا، انتهى طريق سيرة طويل وغير عادي مبتدئاً قبل نصف قرن في قرية صغيرة قريبة من طنطا، هناك بعيداً في مصر.

ويقول أغناطيوس كراتشكوفسكي: «فيا لها من زهرة نادرة تلك الشخصية التي تلألأت في روسيا القديمة، وها هم المعاصرون يتحدثون ـ عفو الخاطر ـ في هالة رومانتيكية، وأن النفحة الرومانتيكية ترن في مقالة «أخبار سانت بطرسبورغ» في قصة أحد تلاميذ الشيخ الطنطاوي، أنه على استعداد للسفر إلى روسيا «اشترى جارية من قبيلته وأرسلها إلى باريس لتتعلم ثم تزوجها بعد ذلك».

واستطاع المعاصرون أن يتعرفوا على هيئة الطنطاوي وشكله بفضل الصور الرائعة (بورتريه) التي رسمها الفنان المشهور مارتينوف، والتي توجد في مجلد صور شخصيات العلم المعاصر.

وهذه الصورة (البورتريه) ساعدت على فهم ذلك الانطباع الذي تتحدث عنه مقالة «أخبار سانت بطرسبورغ» ويبدو على ثيابه الشرقية وسام القديسة (آنّا) = (حنه).

وهو بنعومة ضحك من نفسه على هذا في بعض أشعاره:

إني رأيت عجباً في بطرسبورغ وأنه
شيخ من المسلمين يضم في الصدر حنه

أطياف موشور الرؤيا
مقاربات في تجربة الشاعر د. محمد سعيد العتيق !

•صبحي سعيد قضيماتي

صدر حديثا عن دار العتيق بدمشق، كتاب بعنوان ((أطياف موشور الرؤيا)) يتناول مقاربات في تجربة الشاعر د. محمد سعيد العتيق، تأليف الناقد د. وليد العرفي. ومن اشراقة الإهداء: (إلى سورية شام الياسمين / / التي تجلت بموشورها الوطني / / جمالية الأطياف) ـ نستشف الأهداف الفكرية والجمالية التي يسعى الناقد إلى التعبير عنها والكشف عن دلالاتها الجمالية في تجربة د. الشاعر محمد سعيد العتيق. في البداية يؤكد الناقد د. العرفي: (..بداية نود الإشارة إلى أنه لم تكن ثمة معرفة بالشاعر محمد سعيد الجسد، حتى تاريخ إنجاز هذا الكتاب، غير أنني اكتشفت روحه من خلال ما قرأت من شعره، وكما يرى سينيك: الأسلوب صورة الروح.. وقد وجدتني أتعرف إليه من خلال أسلوبه، وبتعبير بوفون: (الأسلوب هو الرجل نفسه..) و يؤكد الناقد بأنه بعد قراءته لديواني (على ضفاف الروح) و(طرائد النور) للشاعر العتيق، اعترته مشاعر متضاربة..فثمة مشاعر متضاربة من الإعجاب بغلاف تبدو عليه مظاهر الأناقة والترف الطباعي، كما تظهر عليه علامات التنميق..وهذا الإعجاب كان يخفي في مضمراته الخوف من أن يكون ذلك الشكل على حساب المضمون، على ما تعودنا في ظل استسهال النشر، وتعدد أشكاله، ليكون منبراً لأي صوت، ولو كان فيه بحة نشاز..أو لكنة لغوية..ولكن سرعان ما تبدد ذلك الإحساس..وبدأت تستمهله القراءة، وتتطلب منه الإعادة، وغدت القراءة رحلة ممتعة، ولدت هذا الكتاب الذي جاء ثمرة رحلة في شعر العتيق، ودواوينه الأخرى، إذا وجد فيها ما يستحق الإشارة والإظهار، فثمة شاعرية تنم عن وعي الجمال، وإدراك لدور الكلمة في تحقيق منجزها على مستوى الفعل، وهو ما تراءى للناقد العرفي في فضاءات تلك اللغة الشعرية الوارفة الظلال، المتنوعة الأقانيم، المتشعبة الآفاق، وقد تموسقت ما بين شكل تراثي، اتخذ من قصيدة البيت أنموذجا لها، وأخرى ارتدت لبوس قصيدة التفعيلة..وتبين أنه أمام شاعر يستقي معطيات شعره من الواقع، ومن الحب الذي لا يقف في حيز جسد، أو روح واحدة، وإنما يتشعب في ارتياد عوالم الذات الإنسانية، كما ينفتح على عوالم الوجود الأخرى كلها، رابطاً بين ما هو وطني وما هو اجتماعي، عبر أبعاد ودلالات، بقي الشاعر في جميعها محافظاً عل صدق القول في البوح والتعبير..

ويبحث الناقد في هذا الكتاب، ويناقش (طيف العنونة ودلالاته) و (أطياف الصورة وحيويتها) و (وأطياف التعالق النصي) و (أطياف التجليات الصوفية) و (أطياف المتن اللغوي) و (أطياف الأقرباء) و(طيف الموقف الشعري)...وينوه الناقد إلى: (أن هذه الدراسة جاءت ضمن مشروع يعمل الباحث على إتمامه من خلال تسليط الضوء على التجارب الإبداعية الجديدة التي تستحق الدراسة والتحليل، بعيدا عن المراوحة في شعر المتقدمين الذين أصبح القول في شعرهم، إعادة كلام سابق للاحق.)

وأطياف الصورة وحيويتها ـ هو أهم ما يهمنا في عالم الشعر، لأن الصورة،كما يؤكد الناقد، هي اللبنة الأساسية التي ينهض عليها جماله وبلاغته، لأن الصورة مرتبطة بالانتباه، وعنصر الإثارة،والخيال..وهي الركن الذي ينهض بالجانب التصويري للكلمات التي تتزيا لبوس الفكرة في تقديمها إلى المتلقي..وهي: (تركيبة عقلية، وعاطفية معقدة، تعبر عن نفسية الشاعر، وتسترعي أحاسيسه، وتعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهري للقصيدة، عن طريق ميزة الإيحاء والرمز فيها... والصورة هي عضوية في التجربة الشعرية، ذلك لأن كل صورة داخلها، تؤدي وظيفة محددة، متآزرة مع غيرها، ومسايرة للفكرة العامة..) والصورة كما يصفها حسن بطل، هي : (هي التعبير باللغة المحسوسة عن المعاني والخواطر، والأحاسيس..فاللغة ليست سردا تقريريا للحقائق..أو بثاً مباشراً للأفكار، ولكنها تجسيد وتمثيل لتلك الأفكار والحقائق في صورة محسوسة، يعانيها المتلقي، ويدركها إدراكا حسيا، فيكون لها، ومن ثم فعاليتها في نفسه، وعمق آثارها في وجدانه..)..ويميز الناقد ويبحث في الصورة القائمة على نمط التشبيه، ويمثلها في شعر العتيق:

نبضي هواجس والحروف تمائم / / والجوع مثل الذئب عض يديا

والفقر يأكلني وإني مدنف..... / / / والجهل يسعى كالرصاص صليًا

ويؤكد الناقد من خلال تحليله للبيتين السابقين: (إذ يبلغ تكثيف الصورة ذروته، بإيراد التشابيه التي تتناسل من بعضها بعضا بأسلوب العطف بهدف شمول الصورة الفكرة كلها التي تغطي الواحد..وما يلاحظ في البيت الأول أن الشاعر اعتمد على الصورة التشبيهية، وفق نمط التشبيه البليغ الذي جمع بين تشبيهين في الصدر، وتشبيه تام في العجز..ويناقش أيضا موضوع الصورة القائمة على الاستعارة، وهي تشبيه، يتم فيه حذف أحد طرفيه الرئيسيين، مستشهداً بقصيدة (ظلي) التي يراها تكتنز بالصور على الرغم من كونها تتخذ شكل قصيدة قصيرة، لا تتجاوز الـ(25) كلمة:

ضياء الشمس / / يخفي خلف شمسي / / إذا ذبل الزمان / / اخضر أمسي / / وهذا الليل سُجّر في حروفي / / بعتم الليل يشرق / / نور نفس / / على بحر الكلام / /نسجت صوتي / / أقد الموج من ألحان / / همسي..

ويؤكد الناقد: (تنهض الصورة في هذه القصيدة الومضة بعنوان (ظلي) على الأسلوب الاستعاري الذي يبنى على علاقات فعل التضاد الذي يستثمر عامل الزمن بأبعاده الموحية بدلالات التغيير،وفق اشتراطها القائم على الموقف والظرف..إذ يؤسس الشاعر بناء الصورة على الشرط، وهو ما يقتضي لغويا وجود ظرفين هما فعل الشرط وجوابه..

ويهمنا كذلك أطياف المتن اللغوي في عالم الشعر بصورة عامة، وفي شعر العتيق بصورة خاصة..ويؤكد الناقد في هذا البحث، أن لكل شاعر أسلوبه الخاص، ولغته التي تميزه عن غيره..واللغة هي السمة الفارقة بين شاعر وآخر، فهي بمثابة بصمة اليد التي يتمايز بها الأفراد..والشاعر في إبداعه القصيدة إنما يتوخى التعبير عما في داخله، وما يراه من وقائع، يتخذ حيالها مواقف عاطفية، تتجلى في سلوك، أو تعبيرية تتجلى في الكلام، وبهذا يسعى إلى خلق علاقات فيما بين كلماته التي يحقق من خلال ترابطها بشبكة من العلاقات التي تقوم على أساس من الترادف، أو التخالف... وقدم الناقد العديد من الشواهد، في تحليله للمرتكزات البلاغية في لغة الشاعر الدكتور محمد سعيد العتيق...تلك اللغة التي تجلت في العديد من مجالات الحياة، ومنها حقل الوطن، وحقل المرأة، وحقل الحب، وحقل الطبيعة..

وبهذه الأبحاث التي يتضمنها الكتاب، يقدم الناقد د. ليد العرفي، صورة واسعة، وعميقة عن التجربة الشعرية التي يخوض غمارها الشاعر الدكتور محمد سعيد العتيق، ليؤكد في ختام أبحاثه، أن تجربة الشاعر مرت في مرحلتين متمازيتين، يمكن تصنيفها بمرحلة التأثر بأصوات الآخرين، والمرحلة الثانية فهي مرحلة التميز والتفرد في شخصيته الأسلوبية التي تبدت بوضوح في دواوينه اللاحقة..وتمثلت ميلا باتجاه الشعر الصوفي، وهو ما تجلى في ديواوينه: نحّات نور، ورنين الظلال، وفجر المساء...

ويؤكد الناقد أيضا: (عكست تجربته الإبداعية ثقافة الشاعر التي بدت في غير مظهر من مظاهر النص الذي حرص فيه أن يستثمر التراث من دون أن يغفل عن مقتضيات الحداثة، واشتراطاتها الفنية)...ونقرأ في هذا الكتاب أيضا: (جاءت اللغة في شعر العتيق لغة معبرة، تنم عن أسلوب الشاعر الذي يرى في الشعر تجسيداً للفكر، وتمثلا للمشاعر...)

ويختتم الناقد كتابه عن تجربة العتيق الشعرية، بهذه السطور: (أفرزت تجربة الشاعر العتيق صوتا من أصوات الشعر العربي الذي يتسم بفرادته في اللغة الخاصة التي جاءت نسيج وحدة، وهو ما يدور في أشعاره ودواوينه الأخيرة التي أسبغ عليها سمته الأسلوبية الخاصة به..

لغتنا الجميلة

• معاوية كوجان

يقولون: (خَيارات) بفتح الخاء، والصوابُ: (خِيارات)، بكسر الخاء.

يقولون: وقع فلانٌ في (مأزَق) بفتح الزَّاي. الصحيحُ أن نكسرَ الزَّايَ، فنقولَ: وقع في (مأزِق).

يقولونَ خطأً: لا يملك (مؤهَّلات) ليفوز بالوظيفة. الصوابُ أن نقول: (مؤهِّلات)، بكسر الهاء المشدَّدة.

ونتذكر في هذا الصدد إصرار الناس على قولهم: (مُغْرَيَات)، والصوابُ (مُغريات)، لأن (مغريات) جمعٌ لاسم الفاعل المؤنَّث (مُغرية)، وهي الشيء الذي يغريكَ لتُقْدِمَ على عملٍ ما. وقول الناس أيضاً: مُذَكِّرات، والصوابُ: مُذَكِّرات، بكسر الكاف المشددة، لأن المذكِّرات تُذكِّرنا بما دوَّناه، فهي- أي المذكرات- جمعٌ لاسم الفاعل المؤنث (مُذكِّرة).

وإليكم تذكيراً بقاعدةٍ يجهل معرفتها كثيرٌ من الناس: هي الفرق بين (إلا) أداةَ استثناءٍ و(إلاَّ) أداةَ حصر: إذا سُبِقتْ (إلا) بنفي، جاء الاسمُ الذي بعدها مرفوعاً، فكانت (إلا) في هذه الحالة أداة حصر، لا استثناء. وخطأ أن نقول: ما هو إلا أمراً بسيطاً. الصوابُ أن نقول: ما هو إلا أمرٌ بسيط.

ويُستثنى من هذه القاعدة (ما الحجازية) التي تعمل عمل ليس، كقوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ما هذا بشراً﴾. ولكن الأعم الأصح يُبطلُ عمل (ما) إذا انتُقض النفيُ بإلا، وشاهدٌ على هذه الحالة قولُ الله تعالى: ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلتْ من قبله الرُّسُل﴾.

نسأل الله أن يجعل لنا لسانَ صدقٍ مبيناً. آمين.

إصدارات جديدة

•أجنحة المخيم
• محمد حسين
• قصة

•احتراق
• خالد بدور
• شعر

•الريشة البيضاء
• لين غرير
• رواية

•العقل السياسي الفلسطيني
• حمد سعيد الموعد
• دراسة

البطاقة الذكية

• صالح السودة

استيقظ أبو أديب صباح يوم مظلم صلى الفجر ودعا الله أن يفرج عنه، وعن بلاده لما حلَّ بها من البلاء الذي أصابها منذ سنين عدة، واستيقظت زوجته تحضر له حاجاته التي طلبها قبل يوم، وبعد أن فرغت من مهمتها خرجت إلى الشرفة حيث كان الجو جميلاً فيه نسمات الصبح التي تشفي قلب العليل، ونور الشمس يتسابق مع ابتسامتها إلى السماء، فطلبت أم أديب من زوجها أن يجلس وإياها على الشرفة لكي يحتسيا «المتة(×)» بعد أن شرحت له عن ذاك الجمال الذي يحمله الفجر ببداية يوم مشرق بالخير والعطاء حيث كانت العصافير تغدو ذهاباً وإياباً تلملم رزقها..

تأفف الرجل قائلاً: كيف تقولين هذا، وأنا أرى الدنيا رمادية اللون، كأن الضباب قد أحاطها من كل جانب. انتبهت أم أديب إلى ما يرمي إليه زوجها وقالت: يا رجل هون عليك، وأنزل حملاً أثقل كاهلك بالهموم والتعب على مر السنين، فما بعد الصبر إلا الفرج من الله. رد أبو أديب مطأطئ الرأس: والنعم بالله والنعم بالله.. لكن ألا تكفينا تلك المصائب التي نزلت علينا منذ سنوات خلت حتى يحاربوننا في طعامنا وشرابنا، أليس الاطفال بحاجة إلى؟!! ردت الزوجة وهي تسند كتفها إلى الحائط واقفة هزيلة: ولكن أنت رجل وكما يقول المثل «الرجال كالجبال» حدق الرجل في وجه زوجته حتى كادت عيناه أن تخرجا من تحت نظارته التي أخذت تزداد سماكتها سنةً بعد سنة، وقال: اسكتي اسكتي يا امرأه..

هنا أخذ الحديث وقته حيث انتبه أبو أديب إلى الساعة، فأدرك أن الحافلة ستمضي من دون أن يلحق بها، حزم أمتعته وانطلق نحو الشارع كالسهم الذي أطلقه الصياد، ليغرسه في قلب الفريسه، وبصافرتين أطلقهما من بين شفتيه مستعيناً بأصابع يديه الإبهام والسبابة أوقف السرفيس، وبسرعة فائقة اخترق الرجل الجمع من «الركاب» الذين تزاحموا حول السرفيس وصعد محنيَّ الظهر، يبحث عن مقعد يوقف خفقان قلبه الذي يصدر عنه صوت شهيق وزفير متلاحق لا يستطيع صاحبه أن يتفوه بكلمة حتى يرد السلام، وبعد أن جلس في مقعده، واستراحت سريرته، حمد الله أنه لن يتأخر على دوامه كونه يعمل موظفاً في إحدى المؤسسات الحكومية بالمدينة التي تبعد عن قريته (60) كم. أي ما يعادل مسير ساعة واحدة في الحافلة إذا لم يكن هناك أي عائق..، وترك أبو أديب عائلته في القرية، مسقط رأسه بعد أن ترك لهم بعض النقود ليشتروا بها ما يلزم من مأكل ومشرب، وفي حوزتهم ما يطلق عليها اسم (البطاقة الذكية) لتأمين مادة الخبز التي خصت بها الحكومة ذلك، وكان الرجل مضطراً أن يبيت طوال الأسبوع في مقر عمله، لعدم توفر وسائل النقل بشكل جيد بين القرية والمدينة، وإن توفر شيء منه ترى الازدحام غير الطبيعي ينتج عنه بعض الشتائم، أو الصراع بين «الركاب» كما أنه أراد توفير ما استطاع من النقود مقابل أجرة النقل، وبعد انتهاء الدوام الرسمي ذهب أبو أديب إلى مؤسسة الخضار يبتاع بعض الحاجات الأرخص ثمناً كي يصنع منها طعاماً، وقد صرف ثمن ذلك ما يقارب سبعمئة ليرة، ثم توجه إلى المخبز، ليحضر «ربطة خبز» طلب منه الفرّان بطاقته الذكية، فأخبره أنها مع عائلته في القرية، اعتذر منه الفران وقال: يجب أن تحضر البطاقة لتحصل على مادة الخبز. رد ابو أديب متعجباً أحتاج ربطةً واحدةً فقط. قال الفرّان يا سيدي يجب تسجيل جميع المبيعات على هذا، وأشار بسبابته إلى جهاز رقمي صغير بلون أسود يستقبل رقم البطاقة..

عاد أبو أديب يحدّث نفسه: هل أعود إلى مقري في العمل وأبقى من دون طعام، أم أشتري ربطة خبز من نوع «سياحي» بثمانمئة ليرة، فيصبح ما صرفت لنفسي في اليوم الواحد ألف وخمسمئة من أصل خمسين ألف ليرة أتقاضاها من الدائرة شهرياً، وعائلتي تنتظر قدومي نهاية الأسبوع محملاً بالمواد البسيطة التى يتم استهلاكها في البيت لكي يكون مرحباً بي بعد هذا الغياب؟

الاثنين 26/10/2020م

النقد الأدبي العربي الحديث

•حسين مهدي أبو الوفا

من المعروف أن النقد الأدبي في الوطن العربي لم ينشأ نتيجة تطورات فكرية تمت داخل النقد الأدبي العربي القديم، وتمخضت عن نقد أدبي جديد، بل نشأ كإحدى النتائج التي أسفرت عنها عمليات الثقافة الكبرى التي جرت بين الثقافة في أواسط القرن التاسع عشر للميلاد ولم تزل مستمرة إلى يومنا هذا. ومن المعروف أيضاً أن تلك المثقافة قد جرت بين ثقافة متقهقرة ضعيفة بدأت تستفيق لتوها من انحطاط دام مئات السنين، أقرب بها من حافة النزول، ثقافة مجتمع متأخر تسوده بنى استبدادية هرمة، مجتمع متخلف اقتصادياً وعلمياً وسياسياً وعسكرياً، وبين ثقافة حديثة متطورة مزدهرة ترتبط بمجتمعات ودول متقدمة متفوقة اقتصادياً وتكنولوجياً وعملياً وسياسياً وعسكرياً ومن الطبيعي أن تقوم في حالة كهذه إحدى الثقافتين المتفاعلتين بدور المهيمن المرسل المتغلغل المؤثر، وأن تقوم الثقافة الثانية بدور المستقبل الآخذ المتأثر المهيمن عليه. وذلك شأن كل مثاقفة تجري بين طرفين غير متكافئين. إلا أن تلك المثاقفة، ومع كل ما يطورها من خلل، لا تتم إلا وفقاً لحاجات الثقافة المتلقية واهتماماتها واستعدادها للأخذ والاستعاب، ومن الخطأ أن نتصور أنها تتم بمعزل عن تلك الحاجات والاهتمامات بمنأى عن قانون العرض والطلب.

ولذا نجد أن الثقافة المستقبلية، التي تبدو للوهلة الأولى ضحية للهيمنة والتغلغل الثقافيين، مما يحمل كثيراً من المفكرين على التحدث عن (غزو ثقافي، سرعان ما تتمثل وتستوعب ما استقبلته من مؤثرات ثقافية أجنبية، فتوصل بعضه وتحوله إلى مكون عضوي من مكونات نسيجها الثقافي الجديد، وتنبذ ما تبقى لأنه لا يلبي حاجة ثقافية أصيلة ونتيجة لذلك تتحدث الثقافة المستقبلية وتتجدد بفضل الدماء التي نقلت إلى عروقها، وتنتقل من حالة الضعف والانحطاط إلى موقع النهضة والقوة والازدهار، فالمحصلة النهائية للثقافة، حتى إذا تمت بين طرفين غير متكافئين، هي لصالح الثقافة المستقبلية. أنها حقيقة هامة، لا يجوز أن يحجبها عن بصائرنا غبار تلك الأصوات المرتفعة، الصادقة أحياناً، المضللة الديماغوجية في كثير من الأحيان، التي تريد أن تبقي الثقافة العربية في حال من التخلف والركود والضعف بدعوى محاربة (الغزو الثقافي) والأفكار المستوردة. وتنطبق المقولة الآنفة الذكر على المثاقفة التي جرت على امتداد القرن ونصف القرن الأخيرين، بين الثقافة العربية والثقافة الأجنبية الغربية. فقد كانت الحصيلة النهائية لتلك المثاقفة، وبرغم كل ما يشابهها من ظواهر سلبية لصالح الثقافة العربية لقد أطلقت تلك المثاقفة ديناميكية ثقافية أخرجت الثقافة العربية من حال الركود والانحطاط إلى التحديث والنهوض والتطور.

ولولا تلك الديناميكية لتعرضت الثقافة العربية لخطر الزوال، الذي لا تحميها منه وثوقيات دعاة العزلة الثقافية، فما أكثر الحضارات التي سادت ثم بادت تلك حقيقة نجد من الضروري أن نذكر بها وبشيء من الالحاح، لأن الانعزالية الثقافية قد عادت للظهور في الساحة العربية، وأفلحت في استقطاب قطاعات واسعة من الرأي العام العربي متذرعة بالمحافظة على الأصالة والتراث، علماً بأن أصحاب تلك الدعوة لم يقدموا إنجازات ثقافية إبداعية تستحق الذكر، وجل ما قاموا به هو السعي إلى فرض ثقافة عصر سالف قديم على المجتمع العربي المعاصر، مستفيدين من تعثر عملية تحديث الأطر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتربوية والتكنولوجية لهذا المجتمع.

وكان النقد الأدبي أحد الميادين الثقافية العربية التي امتدت إليها عملية التحديث والتطور السابقة الذكر.

وقد كانت تلك العملية الجذرية بدرجة ولّدت هوة كبيرة وقطبية حقيقية بين النقد العربي الحديث والنقد العربي القديم. وهي قطعية شملت جوانب النقد الثقافي العربي كلها: الفكرية والمنهجية والمصطلحية، بحيث بات من الممكن القول إن النقد العربي القديم، ومن المؤكد أن محاولات جسر الهوة بين النقدين، تلك المحاولات التي أخذت شكل قراءة التراث النقد الثقافي القديم من منظور معاصر، قد تمت انطلاقاً من مواقع الفكر النقدي الحديث الشديد الاتكاء على النقد الأدبي الغربي، لا من مواقع النقد الثقافي القديم. وهذا أمر منطقي فالتراث ينبغي أن يفحص ويقيم من مواقع فكرية معاصرة، ولو تم عكس ذلك لكان نكوصاً فكرياً وهزيمة للحاضر أمام الماضي. وما قلناه عن طبيعة العلاقة بين النقد العربي الثقافي الحديث والنقد العربي الثقافي القديم لا ينتقص من شأن النقد الثقافي الحديث وإنجازاته. فانفتاح هذا النقد على الاتجاهات والمناهج النقدية الغربية وتفاعله معها واستيعابه لما هو دليل صحة وقدرة على التطور الذي لا بديل عنه إلا الجمود والتخلف في عالم تتغير بناه المادية والثقافية بسرعة لا مثيل لها في تاريخ البشرية إلا حقيقة أن النقد العربي الحديث قد ولد في خضم المثاقفة مع النقد الثقافي الغربي، ولم يولد في رحم النقد العربي الثقافي القديم، قد طرحت في الساحة النقدية العربية مشكلات وقضايا من نوع خاص، لا بد للباحثين في شؤون النقد الثقافي العربي الحديث من أن يتناولوها بالدرس، وعلى رأس تلك القضايا مسألة الكيفية التي استوعب بها العرب النقد الثقافي الغربي أفكاراً ومصطلحات، ومدى سلامة ذلك الاستيعاب ونجاعته، فدراسة هذه القضية يمكن أن تساعدنا في تحديد مصدر أساسي من مصادر البلبلة التي يعاني منها النقد الثقافي المعاصر في الوطن العربي وتمكننا بالتالي من معرفة سبل تجاوز تلك البلبلة والمضي في تطوير النقد الثقافي العربي ليرتقي إلى مستوى النقد الأدبي في الثقافات المتقدمة، ليؤدي هذا النقد دوره تجاه الأدب العربي والثقافة العربية بالشكل المطلوب.

2 ـ استيعاب النقد الأدبي الغربي

لكي يكون استيعاب الفكر النقدي الأجنبي ناجعاً يسهم في تحديث النقد الأدبي العربي وتطويره لابد من أن يكون ذلك الاستيعاب رصيناً جاداً ومنظماً، لا أن يكون استيعاباً سطحياً فوضوياً أو عرضياً أو موسمياً. وللاستيعاب الرصين مقدمات أبرزها:

1 ـ أن يستند إلى إحاطة عميقة وواسعة بالفكر النقدي الأجنبي المراد استيعابه.

2 ـ أن يوصل ذلك الفكر ويدمج في النقد الأدبي العربي ويضاف إلى الأدوات التي يستخدمها ذلك النقد في دراسة الأدب العربي ونقده.

هذه المقومات الثلاثة ينبغي أن تتوافر في كل استيعاب سليم وناجع للنقد الأدبي الأجنبي، وغياب أي من تلك المقومات الأساسية يخل بجدية ذلك الاستيعاب وبرصانته وينعكس بالضرورة على الساحة النقدية العربية بصورة سلبية. فعدم الإحاطة بالفكر النقدي الأجنبي بصورة كافية من خلال الاطلاع عليه والتعمق فيه بلغته الأصيلة وعدم الالمام بالسياق التاريخي وبالأسس النظرية لذلك الفكر، يجعل نقله إلى العربية وتقديمه للقارئ العربي بصورة سليمة أمراً متعذراً. إن نقلاً كهذا ينطوي بالضرورة على كثير من سوء الفهم والأخطاء وهو بالضرورة نقل مشوه وناقص، فالاطلاع الوافي والفهم الصحيح للفكر النقدي الأجنبي هما أساس كل استيعاب جدي رصين لذلك الفكر وعلى سلامة هذه الحلقة تتوقف سلامة الحلقات اللاحقة من ذلك الفكر النقدي الأجنبي، أي تنقل ذلك الفكر إلى العربية وتقديمه للقراء العرب.

طاحونة الذِّئاب لعبد المجيد زراقط
هل من مكان للعاجز في دنيا الذِّئاب!؟

• عماد منصور

«طاحونة الذِّئاب» رواية لعبد المجيد زراقط، صدرت، مؤخَّراً، عن مركز «ليفانت للدراسات والنشر» في الاسكندرية.

العنوان عبارة مجازية، لعلّه خبر مبتدأ قد يكون «دنيانا طاحونة ذئاب»، أو ربما يكون شبه جملة تلي فعل «نحيا في». أيَّاً يكن الأمر، فان العنوان دالٌ على واقع مجتمعي تعمل فيه قوى، تمتلك قدرات الذئاب ووحشيَّتها، على «طحن» أبنائه والتمتّع بخيراته.

نجد، في الرواية، اشارة دالّة، وهي ذهاب الأجير، والد ابراهيم عمشة، وهو شخصية العاشق القروي، في الرواية، ليطحن القمح لمعلّمه ومقتله، بعد سقوط حجارة جرفها السيل عليه في الوادي.

تبدأ الرواية بتشكيل لوحة كاشفة الواقع العربي، من مكوِّناتها: ١. عنتريات الاذاعات العربية المعلنة انتصار الجيوش العربية في حرب الخامس من حزيران... ٢. فرح الناس بهذا الانتصار، وعقد حلقات الدبكة وحفلات الغناء احتفالاً بالنصر ٣. الهزء ببيانات الاذاعات، واصدار الطلاب الذين كانوا يستعدُّون لإجراء امتحانات التخرُّج في دار المعلمين بيانات اسقاط البعوض الذي كان يزعجهم سخريةً منهم ببيانات اسقاط الطائرات التي كانت تذيعها الاذاعات العربية. ٤. كشف الحقيقة، وتبيُّن الهزيمة الفاجعة. ٥. اعلان الانتصار من جديد، وهذه المرة كان انتصار الأنظمة على المؤامرة التي كانت تريد اسقاطها.

تنطلق الرواية من هذه اللوحة الكاشفة للعجز العربي وفقده القدرة على التحرير، اضافة الى فقده القدرة على التنمية التي ستتكشف في ما بعد.

الشخصية الرئيسية، في الرواية، طالب في سنة التخرُّج في دار المعلمين والمعلمات في صيدا، يُجري امتحان التخرُّج في يوم الخامس من حزيران، وفي وعيه مشكلات كثيرة، منها: ١. وضع أهله في قريته الحدودية. ٢. حسم موقفه من علاقة مع زميلته نهى، التي أحبها من أول نظرة ولم يعترف لها بحبِّه، وكتب دراسة علمية ليفسر فيها حصول الحب من أول نظرة. لم يعترف لها بحبه، لأنه يريد أن يحرِّر فلسطين، وأن يغيِّر نظام الحكم في لبنان، وأن يؤيِّد حركات التحرُّر في العالم...، وهي، كما تُعلن، فتاة تريد أن تنعم بحياتها كما تريد، وأن تستبدَّ بمن يحبُّها، لأنَّ العاجز من لا يستبد كما قال شاعرها المفضَّل عمر بن أبي ربيعة. ٣. الاتفاق على تفاصيل العلاقة مع أمينة، الطالبة في السنة النهائية من المرحلة الثانوية، وابنة جيرانه، في البيت الذي كان يستأجر غرفة فيه، والتي اتفق واياها أن يكونا شريكا حياة...

يلتقي نهى وأباها الصحفي، ويخبره هذا بنتائج الحرب الحقيقية، فيُفجع، ويلتقي أمينة، فتُخبره بأن أهلها يشترطون أن يقيم بعد التعيين في صيدا، فيُطرح السؤال: ماذا يقول للأهل الذين ينتظرون «الابن الشاطر»؟ وماذا يقول للرفاق الذين ينتظرون الرفيق المناضل في القرى الحدودية التي بدأت الحركات اليسارية والفدائيون العمل فيها؟

يترك السؤال من دون اجابة، ويعود الى قريته، ويعدُّ «قَعدة» في كرم أشجار مثمرة يملكه أبوه. وتجري في «القعدة» حوارات مع الحركات السياسية ومع الفدائيين، وينشط في القرية، وتتوالد حكايات تصوِّر واقع القرية من مختلف النواحي، وخصوصاً الصراع مع القوى المناوئة للناس العاديين الساعين الى تحصيل رزقهم، وهذه القوى هي: البيك، أزلامه، شركة التبغ، المخابرات، شلّة المدرِّسين المسيطرين على المدرسة الخربانة، مخفر الدرك...، وفي الأساس الطائفية والمذهبية و الكيان الاستيطاني الذي يواصل اعتداءاته...

تتوالد حكايات تكشف الواقع الذي أدَّى الى أن يُحقَّق معه، ويُعتقل عدة مرات، ثم الى أن يُعيَّن في قرية نائية، والى أن يعمل والد أمينة الى تدبير منحة لابنته، وتسفيرها الى بلد أوروبي، بعد أن قال لها: هو ليس منا، ويعني الاختلاف المذهبي بينهما.

لا يتراجع، ويقرِّر أن يكمل تعليمه، وهو في منفاه، وتبقى النهاية مفتوحة...

يؤدِّي القصَّ الراوي الشخصية بضمير المتكلم، ويتنحى هذا ليترك للشخصيات أن تروي حكاياتها، وأن تناقش وتحاور، فتتعدَّد الأصوات، ويتشكل نوع من الحوارية الكاشفة مختلف الرؤى.

تتخذ الرواية بنية خطية متكسرة بالاسترجاع والاستباق، ومتقطعة بالوصف الخلاق للريف الجنوبي، وبالحكايات المشوِّقة، ومنها حكايات حب قروية انتهى بعضها الى أن تغدو حاية مثل محلي، مثل حكاية الحب بين ابراهيم وعمشة، فسُمِّي ابراهيم عمشة، وسُمِّيت عمشة ابراهيم، وانتهت حكايتهما بالزواج، وضُرب المثل المحلي القائل، الحب بيطيِّبها، وحكايات مقاومة البيك والعدو الاسرائيلي، حكاية الراعي الأعزل الذي يغلب ناطور المستوطنة المسلح ويسلبه بندقيته، لكن الدورية تأتي وتأسره، وليس من يُدافع عنه. اضافة الى تطويع قوى السلطة من مخابرات و درك.

ويلاحظ تشكيل ثنائية طرفها الأوَّل الجمال الطبيعي والانساني للقرية اللبنانية الجنوبية، وطرفها الثاني الحرمان الفظيع الذي كانت تعانيه، في وقت كانت فيه مناطق في لبنان: بيروت ومناطق في جبل لبنان تعرف الازدهار، وقد شكلت هذه الثنائية الضدية عاملاً أساساً من عوامل قيام الحرب اللبنانية.

هذه الحكايات جميعها تنتظم في محور الكشف عن الواقع المجتمعي الذي يدل على حقيقته العنوان المشكل صورة كاشفة عن حال هذه الدنيا التي تكاد تكون «طاحونة» ذئاب لا يقلع أنيابها ثغاء الخراف، كما كتبت أمينة في دفترها...

انها دنيا، العاجز فيها، كما أفادت اللوحة التي انطلقت منها الرواية، وباقي أحداثها، وفضاءها الدَّال، تطحنه الذئاب. والسؤال الذي يُطرح هنا هو: هل من مكان، في هذه الدنيا للعاجز؟ وهل تطفئ دموع العاجزين حرائق المستبدِّين، وخصوصاً ان كانوا ذئاباً يديرون طاحونة لا تكفّ عن الدوران!؟

السؤال يبقى مطروحاً، وهو سؤال يتضمن اجابة لا تخفى على القارئ الذي يتلقَّى الكشف ويتبيَّن الدلالة في مناخ المتعة الجمالية الأدبية.

مالك بن نبي..
أسطورة جزائرية في الفكر

• يامنة بن راضي/الجزائر

يقال لا كرامة لنبي في وطنه وهو ما يتجلى واضحا بين ثنايا تاريخ الأنبياء والرسل المرسلين من قبل الله لهداية البشرية، وفي أحيان كثيرة تلاحق لعنة الحقد أيضا الكثير من العباقرة والعلماء تحت أديم أوطانهم، وقد لا يتوقف الأمر عند بخسهم حظهم بل يصل إلى حصارهم بشتى صنوف الأذى والمزعجات سيما عندما تتحالف السياسة بقذراتها ومصالحها الضيقة مع الجهل بشكل مقيت، وهي حكاية المعاناة و الألم التي عاشها أحد أعمدة الإصلاح والفكر في الجزائر صاحب مشروع الحضارة الراحل مالك بن نبي الذي قضى حياته في محراب الفكر يبحث ويتدبر، و كان يعيش قلق الوجدان على وطنه الذي أراد أن يشق له بقلمه وقلبه طريق الذات فزرع طريقه بالشوك بدل الزهر والرياحين من شركاء وطنه آنذاك من فقراء والضمائر والهمم من ذوي السلطان من كانوا ينحرون الفكر والثقافة نحرا ويهرولون وراء السراب يبتغون المجد على مائدة الجحود لرجل بتلك المكانة السامقة، إذ وصفه المفكر الجزائري الراحل محمد المبارك بالقول: «أنا لا أقول أنه ابن نبي ولكني أقول أنه ينهل من نفحات النبوة».

وإذا كان النفيس غريبا حيثما كان كما يقول داهية الشعر«المتنبي»، فان فيلسوف القرن العشرين مالك بن نبي الذي أشرق قلبه بنور القرآن وارتوى من نبع الحكمة، كان أعتى من الرياح، فحمل بيارق حلمه في إنقاذ أمته التي تغرق في لجج الأوهام مستهينة بقيمتها الحضارية ورضيت أن تكون مع الخوالف، فأراد بذلك بعث حضارة الإسلام من جديد بتمزيق حجب الغفلة والجهل واليأس، فكان يدعو إلى إعمال العقل والمنطق ومواجهة الواقع بلا أقنعة ولن يتأتى ذلك حسب رأيه الحصيف إلا بالتخلص من الذهنيات المحنطة التي تتحكم بنواصي شعوب الأمة والتي كانت السبب الأول في تقهقر وتعثر خطى أمة كانت ذات مجد تليد، فكان يعتقد أن كل فراغ إيديولوجي لا تشغله أفكارنا ينتظر أفكارا منافية معادية لنا وهو ما تجسد فعلا ومازال يتجسد على أرض واقعنا المزري، ولم يغفل هذا المفكر العملاق إلى أن يلفت نظرنا وعقولنا إلى الحقيقة المرة التي تتعلق بالاستعمار البغيض أو «الاستدمار» كما كان يفضل تسميته الذي دمر أوطاننا ونهب خيراتها ورحل عسكريا بعد أن تركنا دولا متهالكة ولا يزال بين ظهرانينا يضرب هويتنا وثقافتنا ويصيبها في مقتل، فكان يطالب بتصفية الاستعمار من العقول أولا ليؤكد بالقول:» أن الاستعمار ليس من عبث السياسيين ولا من أفعالهم بل هو من النفس ذاتها التي تقبل ذل الاستعمار والتي تمكن له «.

لا أجزم بل هي الحقيقة الراسخة، أن مالك بن نبي كان ذا عقل أريب وفكر مميز كيف لا وهو كان يمتلك روح المكاشفة التي جعلته يغرد خارج سرب المقلدين والمنبهرين بالآخر بل والانهزاميين أيضا ما خلق له الكثير من الأعداء و المتآمرين حينها، فهذا الباحث الفريد كان يؤمن إيمانا عميقا بضرورة نهضة العالم الإسلامي الذي سيهدي سكان المعمورة قاطبة قيم الرحمة والتسامح والجمال التي هي من صميم هويته الإسلامية التي نزلت إليه من السماء ولكونه كذلك صاحب ارث غني بهذه المعاني الجميلة، بيدا أنه يشترط لتحقيق هذا الهدف السامي أن تهب حياة هذه القيم والمعايير من مراقدها عند المجتمعات المسلمة، فكان يردد لا بد للمسلم أولا أن يساهم في بناء مجتمعة لكي يستطيع التكلم مع الآخرين ندا إلى ند وهو المسؤول عن تعطيل تبليغ الدعوة للعالم، فكيف له أن يبلغ الدعوة لأناس في نظرهم هو أدنى منهم، فدعا العالم الإسلامي الذي أهدر تراثه الثمين بأن يسارع إلى جمع شعث همومه وأن يفطم نفسه عن الكسل، فلا ريب أن هذا الجزائري العظيم كان يسعى إلى شحذ الهمم والعزائم التي سقطت وفترت، محاولا بذلك ضخ دماء الإرادة في ثورة فكرية وروحية أولا تتوج لاحقا بنهضة اقتصادية وحضارية تمكن من رسوخ كعب هذه الأمة العظيمة في ملحمة العطاء الإنساني.

ولا أغالي.. إذ أقول أن الراحل مالك ابن نبي كان بالفعل مجدد هذه الأمة كما يرى الكثير من المفكرين والباحثين في كل أصقاع العالم، وقد استطاع هذا الفيلسوف الكبير الذي تجاهله قومه أن يحظى بمكانة استثنائية لدى دول أوروبا و أمريكا الذين تلقفوا فكره تلقى المتعطش للعلم، متناولين أفكاره بكل تمحيص معتبرين إياه رجلا يكتنز عبقرية فذة لا يقل عن مفكريهم وفلاسفتهم، كهيجل وكانط وراسل وهيدغر وغيرهم، وهو نفسه الذي ألهمت نظرياته الفعالة شعوب شرق وجنوب آسيا التي طبقتها حقيقة فتغير واقعها إلى الأفضل وهاهي اليوم قوة اقتصادية تماثل أوروبا وأمريكا، وفي الذكرى السابعة والأربعين لرحيل هذا العالم المسلم لا يسعني إلا أن أقول أنه استطاع بجدارة أن يسنج أسطورته الخالدة.

لأكثر من ثلاثين عاما ناضل هذا الرجل العظيم بعلمه وفكره الثاقب وقبل ذلك بنفسه، حيث تعرض للاعتقال داخل غياهب السجون من قبل الجلاد الفرنسي في ثلاثينات القرن الماضي لأنه كان أول من طالب بالاستقلال والحرية، سائرا في درب موحشة متحملا الظلم والمكائد والتهميش وكأنه يتمثل قول الشاعر : بلادي وان جارت علي عزيزة...و أهلي وان ضنوا علي كرام..ورحل ابن نبي قبل أن ينبلج الفجر الذي انتظره بعد ليل جاثم طويل، رحل وقد فرغ من حق وجوده مؤديا رسالته في هذا الوجود، مخلفا وراءه إرثا فكريا ضخما لا يقاس بكل كنوز الدنيا، وإذا أردنا فعلا أن نزرع بذور الوفاء لهذا العظيم فلنتعلم منه ونبعث الحياة في أفكاره ونظرياته.

مصطلح «الإبداع» ما له وما عليه؟

•د. صياح عزام

بين الحين والآخر تظهر على منصّات التواصل حملات تندّر على بعض سلوكيات وأزمات المثقفين، من بينها صيغة النداء «يا مُبدع» لمجرد حضور منتدى أدبي أو فعالية ثقافية، لدرجة باتت هذه المفردة «ضبابيّة وغائمة» إنْ صح التعبير؛ الأمر الذي أفقدها بريقها الحقيقي وتأثيرها الساحر.

بداية، لا بد من الحديث عن مصطلح «الإبداع»، حيث أن هذا المصطلح يحتل حيّزاً واسعاً في الكتابات والأحداث والنقاشات، وهو يحتاج إلى إعادة اعتبار، لأنّ وَصْف «مُبْدع» أصبح يُطلَق على كثير من الكتّاب والروائيين والشعراء والقصاصين، خاصة في ظروف سهولة النشر وكثافته، وصعود مواقع التواصل الاجتماعي حتى بات البعض يشعر بأن مصطلح «المبدع» أو «الإبداع» بات مُستهلكاً وروتينياً يُطلق أحياناً كثيرة دون تدقيق وتمحيص وعلى بعض من لا يستحقونه.. لهذا كله، فهو يتطلب وقفة متأنّية عنده..

في بداية الحديث، لا بد من طرح بعض التساؤلات المهمة منها: ما هو الإبداع على وجه الدقة؟ وما هي شروطه وآليّاته؟ وهل يجوز وصْف جميع من يكتب أو يرسم أو يمارس أي نشاط فكري أو ثقافي بـ«المبدع»؟! لا شك بأن الإجابة على مثل هذه الأسئلة أمر مهم يحتاج إلى حوارات ثقافية وفكرية مُعمَّقة وواسعة، ولكن سنحاول إلقاء الضوء على بعض جوانب هذه الظاهرة في سياق محاولة تحرير مصطلح «الإبداع» من مجّانيته وإعادة الحيوية إليه.

لقد مرّ الإبداع من حيث تعريفه بمنعطفات متعددة عبر تاريخه، وكانت هذه التعريفات تُصاغ في مرحلة لاحقة بعد ممارسة عملية، ووجود مُنتج إبداعي يدعم الرؤية النظرية، ومع ظهور مرحلة ما بعد الحداثة خاصة منذ أربعينيات القرن العشرين، عملت الصيغ الحديثة على تَشْظية الأفكار السابقة المتعلقة بالعمل الإبداعي، كذلك عملت التقنيّة الحديثة بدورها على تحطيم الهالة التي كانت تحيط بالإبداع.

وإذا ما جئنا إلى /الإبداع الأدبي/ الذي يشكّل وسيلة تعمل من خلالها المجتمعات البشرية على توطيد العلاقات بين الذات والآخر، وتبادل الخبرات المشتركة، والذي هو أيضاً حالة تمارس فيها الإنسانية خبرات التناغم والاندماج الحيوي، نجد أنه في مجال هذا الإبداع تركزت الدراسات والأبحاث حول اللغة بوصفها وسيلة المبدع ومادّته في آن واحد.

ومن ثم بدأت الكتابة الإبداعية تخرج عن حدود الأشكال الكتابية المهنيّة كالكتابة الصحفية أو الأكاديمية، وعادةً ما يجري تحديد هويتها من خلال التركيز على طبيعة اللغة واستخدام المجازات والتشكيلات الاستعاريّة.

على أي حال، الإبداع بشكل عام ومنه بطبيعة الحال الإبداع الأدبي في جوهره، محافظ ومقاوم من جهة، ومتحوّل ومتطور في الوقت نفسه من جهة أخرى، أي إنه التنوّع في أبهى مظاهره وأشكاله وصوره.

هذا وللقارئ دور في أي نقاش حول الإبداع، حيث استقر الحوار حول الإبداع بشكل عام من خلال ثلاثة خطابات يحملها بجمله وتراكيبه ورؤيته؛ وهذه الزوايا الثلاث تخرج من ثلاثية (المبدع والنص والمتلقي)، فالمبدع حائر بين الظهور والخفاء، الحضور والغياب السرمدي الساكن خلف حروف مطبوعة ورؤية كامنة وشبه مستقرة، والنص القادر على حَمْل تلك الهموم بجانب إشكالية الصياغة وطرائق التعبير وأنساق الكتابة؛ كل ذلك يصبُّ عند مُتَلقٍ مُستعِد ومتحفّز ومُهيّأ للاشتباك والاتفاق والقبول والرفض.

والآن، مَنْ هو المبدع؟

يمكن أن يكون المبدع معلماً أو مهندساً أو تلميذاً في مدرسة أو عاملاً في حقل، وكما يقول العالم الأمريكي «ألكس أوزبورن»: «كل الأشخاص قادرون على التفكير بشكل إبداعي ومُبتكر ما لم يُمْنَعوا من ممارسة ذلك»، بمعنى أن من لا يمكنهم ممارسة الإبداع هم الذي لا تتوفر لهم فرص الدعم والموارد اللازمة والبيئة المناسبة، ولهذا، فإن أهم سمة من سمات الإبداع، هي امتلاك الشعور الذي يدفع للسعي من أجل تحقيق الإبداع بغضّ النظر عن الهدف منه. هذا ولا يعتمد إبداع الأفراد على وجود سمات شخصية فقط، بل ينشأ في ظل نظام بيئي، وفي ظل استعداد المبدع لضرب صخرة بإزميل والحفر بعمق، ليعثر على مصدر الإبداع، كما قال الشاعر الياباني المشهور «هاروكي موراكامي».

وهذا يقود إلى القول، بأن المبدعين ليسوا سلعاً يمكن تصنيفها عند الطلب، بل هم أشخاص لديهم القدرة على تحديد المشكلات وفهمها بعمق ومستعدون للمضيّ في رحلة البحث عن الأفكار والحلول لتغيير الوضع القائم نحو الأفضل.

مثلاً، المعلم المبدع، هو القادر على إيجاد حلّ إبداعي ناجح لتقديم مادته التعليمية لفصل متنوّع في الفروق الفردية، بطريقة تختلف عن طريقة المنهج المقرر، كونه يلامسُ الفروق الفردية أكثر مما يعرفها مؤلف الكتاب.

هذا، وفي إطار البحث عن جوهر المبدع، ثمّة نقاشات تدور حول إمكانية تدريس وتعليم الإبداع، وعادة ما يتم تدريس الكتابة الإبداعية على شكل ورشة عمل، وليس بأسلوب التعليم التقليدي، حيث يعمل المشاركون على نقد نصوص بعضهم البعض، إضافة للتركيز على مهارات التحرير ومعرفة الأنواع الأدبية، ومن خلال هذه الورش تخرّج في الغرب كتّاب وشعراء مشهورون، هذا مع العلم بأن البعض يجادل بأن الكتابة الإبداعية لا يمكن تدريسها، ولكن هذا البعض أخذ يتراجع عن آرائه هذه مؤخراً.

أخيراً، يبقى من المهم التأكيد على أن المثقف المبدع أو الكاتب المبدع، يظلّ من خلال تجاربه ورؤاه حاملاً لمشعل التقدم إلى الأمام، وصوت شعبه وضمير أمته، كما يبقى الأكثر إحساساً إنسانياً بالمعاناة وإدراك أسبابها ومواضعها، والبحث عن سُبُل فتح منافذ الإصلاح، كما أن تجربة المثقف والمبدع العربي ثريّة في المقياس الإنساني، وأنجزت أعمالاً إبداعية وفكرية قيّمة في كثير من الأحيان.

التأسيس والريادة.. في آن!.. ٢.

•د. حسن حميد

إن من عرف الدكتور علي عقلة عرسان حقَّ المعرفة رأى كيف أنه فكر بجوهر الحياة، أعني (النجاح) أو ما أسماه هيغل بـ (الرائع)، وأراد لهذه الفكرة أن تكون طريقه في الحياة ومن أجلها، ومن يجعل معنى (النجاح) هدفاً له، فهو لن يُفلت من يده هذا الحرص لينال (النجاح) في أعماله الإدارة التي تَسلم شؤونها في اتحاد الكتّاب العرب في الثلث الأخير من عقد السبعينيات من القرن الشعرين، وسط حضور أدباء ومفكرين ومبدعين لهم أسماؤهم الكبيرة، وجذبهم اللافت للانتباه في شتى أجناس الأدب والثقافة، وقد غدت تجارب بعضهم أمثلة للنجاح والإبداع والتحليق المعرفي الذي يروم بناء ثقافة أصيلة لا تنظر بغضب إلى الماضي، ولا تشمت بالراهن، ولا تغلق الأبواب والنوافذ بوجه المستقبل.

اتحاد الكتّاب العرب، وقبل أن يتسلم الدكتور علي عقلة عرسان شؤونه، كان يُصدر مجلة (الموقف الأدبي) التي نصّ قانون إنشاء اتحاد الكتّاب العرب عام 1969 على إصدارها لتكون المنبر الذي يعبر عن فعالية الأدباء وما يكتبون، وقد ترأس الدكتور علي عقلة عرسان رئاسة تحرير هذه المجلة قبل أن يصبح رئيساً للاتحاد، وقد نشر فيها بعض نصوصه الشعرية، وبعض فصول من أعماله المسرحية، وكانت المجلة ساحة للإبداع والثقافة العربية، ولا سيما في مصر والعراق، وكانت من بين أهم المجلات العربية المعنية بالثقافة والإبداع.

حين تسلّم الدكتور علي عقلة عرسان مسؤولية قيادة اتحاد الكتّاب العرب، فكر بتعددية كل شيء من أجل الإبداع في كلّ شيء، من الطباعة، إلى إصدار الدوريات الجديدة، إلى تفعيل دور الأنشطة الثقافية، ومن الأمسية الواحدة المفردة إلى المهرجانات والملتقيات الكبيرة داخل سورية وخارجها.

ففي الدوريات أنشأ الدكتور علي عقلة عرسان مجلة التراث العربي وسلم تحريرها إلى الدكتور عبد الكريم اليافي وقال له: هاتوا (أنت ورفاقك) عيون التراث، وابحثوا فيه، وتخيّروا منه ما هو جميل ورائع، ثم أنشأ مجلة الآداب الأجنبية لتكون جسر عبور إلى اللغات العالمية، وفعّل عمل جمعية الترجمة التي أنشئت بمبادرة منه، فراحت تغذي المجلة بالإبداعات العالمية ومن سائر لغات الأرض، وأكد أنه من الضروري الاهتمام باللغات التي تتكلمها الشعوب الإفريقية والآسيوية والأمريكية اللاتينية لكي نعرف طبيعة تلك المجتمعات وثقافة أهلها لأن المواقف السياسية، والثوابت المبدئية لدى أهل السياسة والأحزاب فيها تكاد تكون واحدة وتشبه مواقف الأمة العربية وثوابتها المبدئية، وألا يتوقف المترجمون عند اللغات التي شيّعت لها وكرزت الدول الاستعمارية ولا سيما اللغة الإنكليزية، ولغة الفرنسيس.

ثم أسس الدكتور علي عقلة عرسان في مقابلة مجلة (الآداب الأجنبية) مجلة الآداب العربية التي قامت بمهمة نقل الإبداع العربي من اللغة العربية إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية بوصفهما اللغتين الأكثر انتشاراً عالمياً، وراحت هذه المجلة تَصدرُ مناوبةً كلّ ستة شهور، مرة نرى النصوص الأدبية العربية منقولة إلى اللغة الإنكليزية، ومرة أخرى نراها منقولة إلى اللغة الفرنسية، وبذلك حرر الدكتور علي عقلة عرسان الترجمة من أن تكون بادية في طرف واحد فقط، أي ترجمة النص الأجنبي إلى اللغة العربية، كما أنه حرر الترجمة من أن تكون طائرة طائشة في مهب أهواء المترجمين وأمزجتهم، لأن الترجمة من اللغة العربية إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية باتت بأيدي أمينة حين أُسندت إلى مترجمين معروفين بالمقدرة، ولهم عضوية في اتحاد الكتّاب العرب، وهم أصحاب تجارب راجحة في الترجمة.

ثم أنشأ الدكتور علي عقلة عرسان مجلة الفكر السياسي لكي يكتب الأدباء العرب في القضايا العربية المصيرية، من أجل تواصل مفاعيل ثقافة التنوير الفكري العربي، وبذلك حرر الدكتور علي عقلة عرسان اتحاد الكتّاب العرب من صبغة الاختصاص بإبداع الشعر والقصة والرواية والمسرحية وأدب الأطفال، أي حرر الذهنية التي تقول إن اتحاد الكتّاب العرب هو مكان أو جهة لمن يكتبون النصوص الإبداعية فقط، وبذلك تشارك مفهوم الإبداع ومفهوم الثقافة في فعل إنساني واحد من أجل الإحاطة بجميع الاهتمامات والتوجهات كي لا يظلّ كاتبٌ أو مبدعٌ خارج دارة الاتحاد لأن الغاية من إنشائه واضحة وجلية ليكون بيتاً لأهل التعبير عن شؤون الأمة وقضاياها وعن شجون الأمة وأحلامها في آن.

ثم أنشأ الدكتور علي عقلة عرسان جريدة الأسبوع الأدبي لتكون منبراً يعنى بالإبداع والفكر، والترجمة، والفنون جميعاً، ولتكون المجس الحقيقي والمباشر مع أفكار الأدباء ورغباتهم في التعبير السريع عن الظواهر الأدبية، والحالات السياسية والفكرية والثقافية المحتاجة إلى رأي سريع، بالإضافة إلى التعليق على الأنشطة الثقافية التي تقام في بلادنا العزيزة، والبلاد العربية كافة، وقد لعبت الرسائل الثقافية التي كتبها كتّابٌ عرب حول المشاهد الثقافية لديهم الدورَ المهم من أجل تكوين رؤيا مشتركة عن حال الثقافة والأدب والفكر والفنون في سائر البلاد العربية، وقد كانت جريدة الأسبوع الأدبي التي صدرت في الشهر الأول من عام 1986 الجريدة الأدبية الأولى في الوطن العربي، ولذلك استحوذت على انتباه المبدعين والمفكرين والفنانين والمترجمين العرب، فكانت المختبر الأهم للإبداع العربي والأفكار العربية حين راحت النصوص الإبداعية تتصادى وتتنافس على صفحاتها من جميع الساحات العربية، وكذلك كان حال الأفكار والقولات المهمومة بالتراث من جهة، والمستقبل العربي من جهة أخرى، والأهم أن الجريدة قامت بحوارات غنية مع أهل الإبداع والفكر والفنون العرب والأجانب لجلو دواخل المبدعين ومعرفة أحلامهم وبذلك بدت ضفة ثانية للإبداع عند كل مبدع ومفكر وفنان عربي مضافة للضفة الإبداعية الأولى، أعني النصوص وهي بكامل هيبتها! وبهذه الدوريات صار اتحاد الكتّاب العرب غابة ثقافية مُنارة بالأسماء والتجارب والآراء والغايات العلوق بأهداف الأمة وأحلامها.

Hasanhamid55@yahoo.com

الجوانب النفسية في رواية (نبوءة على التلفاز)

• حامد العبد

من المعروف أن العلاقة بين الأدب وعلم النفس باتت علاقة تكاملية وطيدة، وهي فوق مستوى الشبهات، فعلم النفس والأدب كما قال الناقد روباك A.A.Roback في كتابه سيكولوجيا الأدب، يتناولان موضوعات واحدة كالخيال والأفكار والعواطف وما أشبه بذلك. وهذه العلاقة ليست وليدة هذا العصر، إذ طالما سعى الأدباء لسبر غور النفس البشرية ورصد تصرفاتها وسلوك أصحابها وردات أفعالهم اتجاه الأحداث، وقد استفاد الكثير من الأدباء من الانتصارات المذهلة لعلم النفس التي باتت متاحة لهم، فراحوا يسخّرونها من أجل فهم أفضل للحياة والإنسان، كلٌ بحسب اتساع ثقافته النفسية وعمق موهبته الأدبية.

ومن بين هؤلاء الأدباء كان الروائي والقاص السوري محمد أمين الساطي الذي قدم لنا رواية (نبوءة على التلفاز)، والتي تناول فيها قضية نفسية معقدة عاشها بطلها بكل مآسيها إلى أن هزمته في النهاية.

لقد عبّر الساطي عن سعة اطلاعه على أسرار النفس البشرية منذ بداية الرواية، ومن مقدمتها بالتحديد التي قال فيها: "من غير المستبعد أن تتآمر حواسنا علينا، وتبدأ في خداعنا، ما يسهل علينا اجتياز الخط الفاصل بين الواقع والخيال.. فنغرق في أحلام اليقظة مستمتعين بالأوهام، مبتعدين عن مشكلاتنا اليومية التي لا تنتهي، محققين إشباعاً جزئياً لرغباتنا الجنسية المكبوتة منذ أيام الطفولة، حتى نلاحظ من دون أن ندرك بعد فوات الأوان، أننا قد انفصلنا كلياً عن كل ما يحيط بنا وخلقنا عالمنا الخاص بنا".

وقد جسد بطولة هذه الرواية شاب تنطوي شخصيته على الكثير من العقد النفسية والرغبات الدفينة المكبوتة، وعلى نشاط باطني لاشعوري إنفلت من عقاله فأودى بصاحبه إلى عالم الإنحراف والجريمة. هو في الأصل إنسان بسيط إلى حد السذاجة ومهووس بالأمور الغيبية و بمخططات ما يسمى بالحكومة العالمية الخفية التي تتحكم بمصائر البشر "التي تضيف مادة الفلورايد إلى إمدادات المياه العامة باسم الحد من تسوس الأسنان، ولكن في الحقيقة، لهذه المواد مضاعفات خاصة، توثر في تفكير المجموعات البشرية"، كما أنه مولع بالمقالات التي تتناول الطاقة الروحية "فقد قرأ بالمجلات، أنه يمكن للشخص الخبير رؤية هذه الهالة المشعة التي تحيط بجسم كل واحد منا، إلا أنه عملياً وبعد محاولات لا تعد ولا تحصى، لم يتمكن من رؤيتها ولو لمرة واحدة". كما أنه إنطوائي جداً يخلق بينه وبين الآخرين جداراً ليؤمن له الحماية الذاتية من اكتشافهم لما يدور في عقله من أفكار وهواجس.

وفي وصفه لبطله عاد بنا الكاتب إلى طفولته عندما كانت تتركه أمه المهملة لساعات طويلة، يجلس فيها بمفرده

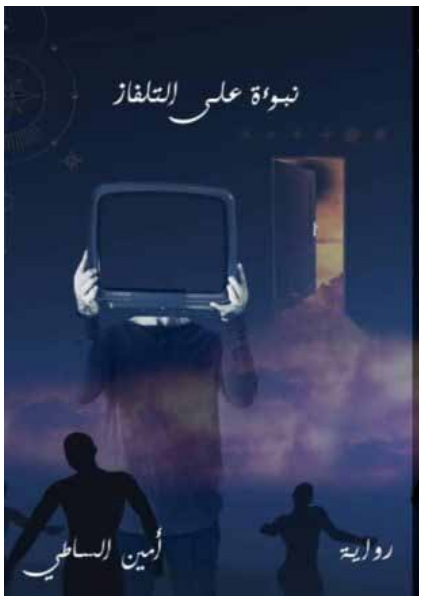

يشاهد فيها أفلام الكرتون لينشغل بها عنها، حتى أصبحت الشخصيات الكرتونية الوهمية التي يتعلق بها جزءاً من عالمه الخاص، تلازمه طوال الوقت لتعطيه فرصة للهروب من الملل اليومي الذي يعيش فيه، وأصبح غير قادر على التركيز على دروسه والإصغاء لمعلمته في الصف الأول الإبتدائي لكثرة الساعات التي يمضيها في ممارسة أحلام اليقظة. ومع مرور الوقت تعمق انفصاله عن عالمه الخارجي، وأصبح أقل تفاعلاً مع الأحداث التي تحيط به. أما في أيام المراهقة فقد بدأت تلازمه مشكلة الخجل، وتشكل لديه حاجز من الخوف في وجه الجنس الآخر. وبالتدريج بدأت بعض الأصوات الغريبة تتسرب إلى ذهنه، وتسيطر على عقله، فأصبح غير قادر على نسيانها، وفي الوقت ذاته يجد نفسه مضطراً للاقتناع بتلك التصورات غير المنطقية، ومن بينها تصوره بأن أحد مذيعي التلفاز (الذي يمتلك قدرات غيبية خارقة) قد بدأ بتوجيه الارشادات له والنصائح من أجل حلّ مشكلاته المادية المتأزمة، حيث شكلت هذه الحادثة ذروة الحبكة الروائية، لتنحو بعدها الرواية منحىً بوليسياً بامتياز عبر سلسلة من عمليات السطو والجريمة التي امتازت بالإثارة والتشويق. وهنا نستطيع القول أن صوت هذا المذيع ما هو إلا صدى عقله الباطني المشوش، وخياله المريض الذي كان يؤرّق حياته، لدرجة أنه حاول في أحدى المرات أن يحطم شاشة التلفاز بمطرقة، لولا أن المذيع نهاه عن فعل ذلك فارتعد البطل خوفاً وتراجع عن فعلته ليذعن بعد ذلك لهذا التصور المريض الذي أودى بحياته في آخرا لمطاف..

استخدم الكاتب في روايته أسلوب السرد بصيغة الغائب، أي بصيغة (السارد العليم) حسب مصطلحات علم السرد، والذي يعلم عن شخصياته وميولها ونزعاتها الدفينة أكثر مما تعلم هي نفسها عن ذاتها وعن بعضها البعض (وهذا ما لا يكون متاحاً عند السرد بصيغة المتكلم)، فراح يسلط الضوء على صفات شخصياته النفسية منها بالتحديد، وذلك باستخدامه طريقتين إثنتين، أولهما هي طريقة الوصف المباشر لهذه الشخصيات كما هو الحال حين وصف (سلمى) زميلة وائل في العمل عندما قال: "إن المجتمع الذكوري الظالم الذي تعيش فيه، لم يسمح لها يوماً أن تعبر عن مشاعرها، ما دفعها إلى التركيز على الرؤيا الداخلية لأعماقها، واستمر اهتمامها بهذه البصيرة الداخلية، حتى بعد أن تجاوزت مرحلة المراهقة". أما الطريقة الثانية فقد تمثلت بالسماح لسلوكها وردّات فعلها بأن تشي بخوافي عالمها الباطني وعقدها النفسية. إلا أن الكاتب فوّت على نفسه فرصة استخدام الحوار بين الشخصيات لتكوين فكرة أفضل عنهم لدى المتلقي، وهذا ما يشكل في واقع الأمر حالةً عامة في أعمال الساطي، متناسياً بذلك أن جنساً أدبياً عظيماً ظهر قبل الرواية بآلاف السنين يُدعى المسرح جعل من الحوار الأداة الوحيدة له للكشف عن المكنونات النفسية للمتحاورين، ولا ننسَ هنا مقولة سقراط الشهيرة (تكلم كي أراك)، كما أن للحوار دور مهم في كسر رتابة السرد عموماً، بالذات عندما يكون بصيغة الغائب كما هو الحال في هذه الرواية، وقد زاد من هذه الرتابة أحياناً الإكثار من التفاصيل المملة أثناء الحديث عن الترتيبات التي أجراها البطل لتنفيذ أعماله الخارجة عن القانون، بالإضافة إلى أسلوب طباعة الرواية الذي استخدم هوامش ضيقة جداً وأسطر متقاربة للغاية.

إن القراءة المتسرعة لهذه الرواية قد تدرجها تحت باب الروايات البوليسية، وهي من الممكن اعتبارها كذلك في نصفها الثاني بالتحديد حيث شكل البطل فيه عصابة سطو وسرقة، وقد حاك الكاتب الأحداث فيه ببراعة فائقة معتمداً على سعة معرفته بالحياة العملية لعالم البنوك والأسواق. وهذا ما جعل الرواية تصلح لأن تكون نواة عمل درامي أو سينمائي ممتع. ولكن الاقتصار على ذلك فيه تسطيح لفكرة الرواية الرئيسة التي تناولت بعمق إنساناً يمتلك ذهنية مضطربة وحللت هذا الذهنية بحرفية. كما أن هذه القراءة السطحية قد تنظر لبطل هذه الرواية على أنه مجرد ضحية لقيم المجتمع المادية والاستهلاكية، وأن كل ما قام به هو التمرد على هذه القيم ولكن بطريقة منحرفة.. وهنا أيضاً نستطيع القول أن في هذه النظرة قصور عن فهم كنه هذه الشخصية وتحميل النص أكثر مما يحتمل، فالبطل كان في الأصل يحمل شخصية عدوانية مشحونة بالاعتلال العقلي والنفسي، وكانت تفكيره اللاواعي يبحث عن فرصة حتى يترجم أفكاره الخبيثة على أرض الواقع، وهو إنسان متقوقع على نفسه لا يكترث بمصير الآخرين، ولم يكن يستطيع أن يشعر اتجاه أي امرأة بالحب، فالنساء كنَّ بالنسبة له فرصة لإثارة شهوته الجنسية وليس حبّه، بما في ذلك ابنة جارته (المتخيلة)، أما زميلته سلمى فقد أيقظت لديه مشاعر الإعجاب ممزوجة بالرغبة في السيطرة عليها، وفرصة لمساعدته على تجاوز خجله اتجاه الجنس الآخر.. بمعنى آخر كان البطل يحاول أن يصور دوافعه بأنها كانت نبيلة، ولكنها في الحقيقة لم تكن كذلك، فقد كان يقف وراءها حقد دفين، وجد في توجيهات المذيع الوهمية مبرراً لترجمته على أرض الواقع. وبالتالي يمكننا القول أن البطل كان وحشاً وفريسة في نفس الوقت.

في النهاية نستطيع القول بأن هذه الرواية بمجملها تناولت أزمة نفسية لها أبعاد ذاتية واجتماعية وفكرية، نسجها الكاتب بخيال خصب لا يتمتع به الكثير من الكتّاب الذين يتهيبون الدخول في هكذا مواضيع شائكة، خصوصاً أنها تستلزم من كاتبها ثقافة نفسية واسعة أثبت الساطي في أكثر من عمل له أنه يمتلك ناصيتها باقتدار.

تعزية

فقدت الأديبة الشاعرة أنيسة عبود زوجها الأديب د.محمد عزيز العلي في الأسبوع الماضي.

وتجدر الإشارة إلى أن د.محمد عزيز العلي أديب كتب القصة القصيرة، والدراسات النقدية، وله أكثر من مؤلف مطبوع، وكان مشاركاً في جلّ الأنشطة الأدبية في سورية.

رئيس اتحاد الكتّاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي يتوجهون إليها بخالص العزاء. راجين من الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه الجنة، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

أبو العتاهية شاعر الزهد والحب

• أ. د. منى إلياس

اشتهر أبو العتاهية بشعر الزهد في أدبنا كما لم يشتهر أحد، فلو جئنا إلى أحد ممن ألمّ بغدر من سير شعرائنا وأشعارهم، وسألناه: من شاعر الزهد عندنا؟ لقال من فوره: هو أبو العتاهية لا يعدوه. فقد أطال وأكثر في نظم قصائد الزهد ما لم يطل غيره.

ولد أبو العتاهية في الكوفة سنة 130 هـ أي قبل سنتين من تمكن العباسيين من انتزاع حكم البلاد والإسلامية من أيدي الأمويين، وعاصر أبو العتاهية سبعة الملوك الأول للدولة العباسية، وهم: السفاح فالمنصور فالمهدي، فالهادي فالرشيد فالأمين فسابعهم المأمون. ولكن لم يبدأ الاتصال إلا بتالهم المهدى، ثم اتصل بالآخرين حتى مات في عهد المأمون سنة 217 أي قبل وفاة المأمون بسنة واحدة.

وكان أبو العتاهية في مبدأ نشأته كسائر أهله خزّافاً يصنع الجرار ويزينها بالخضرة ليحصل على رزقه من بيعها، وقد أغرم بالشعر منذ كان فتى ثم اشتهر به، فكان الشبان يأتون مصنعه، ويستنشدونه شعره ويكتبونه على ما تكسّر من خزفه، فلما أنس في نفسه القدرة على قول الشعر الجيد ترك المصنع في الكوفة لأخيه، ورحل إلى بغداد لمزاحمة الشعراء على أبواب الأمراء والرؤساء والولاة والقواد حتى وصل إلى المهدي، وكان وصوله عن طريق جارية من جواريه تسمى (عتبة) حاول أبو العتاهية أن يتحرش بها ليجعل منها عروساً لشعره كسائر الشعراء. فكانت عتبة في البداية جارية لزوجة المهدي (ريطة) للخيزران جارية المهدى، وأم ولديه موسى الهادي، وهارون الرشيد، وقد رأى أبو العتاهية أنه خامل الذكر في بغداد، فطلب سبباً يشتهر به ويوصله إلى المهدي، فاجتازت عتبة به يوماً مع عدة من جواريها، وحشمها، فكلمها واستوقفها فأنفت أن تتكلم أو تقف عليه وأمرت غلمانها بتنحيته، فكان ممّا قال:

- يا عتب ما شأني وما شأنك
ترفعي، ستي بسلطانك
- أخذت قلبي هكذا عنوة
ثم شددتيه بأشطانك
- اللّه في قتل فتى سلم
ما نقض العهد وما خانك
- حرمتني منك دنوا، فيا
ويلي، ما لي ولحرمانك
- يا جنة الفردوس، جودي فقد
خابت ثناياك وأردانك

وكان أبو العتاهية يحتال للقاء عتبة، حدث يوماً أن خرجت بصحبة رئيس حرس القصر وكانت ريطة زوجة المهدي قد أعطته أموالاً يشتري بها من سوق الرقيق من يرى من العبيد والإماء، ويعتقهم لوجه اللّه، وأمرت عتبة بمصاحبته لتحضر معه الشراء والعتق، فانتهز أبو العتاهية الفرصة، وجاء عتبة متنكراً في زي شيخ متنسك فقال لها: جعلني اللّه فداك شيخ ضعيف كبير لا يقوى على الخدمة، فإن رأيت - أعزك اللّه - شرائي وعتقي فعلت مأجورة. فأقبلت عتبة على رئيس الحرس الذي تصحبه فقالت له مشيرة إلى أبو العتاهية: أرى هيئة جميلة وضعفاً ظاهراً ولساناً فصيحاً، فاشتره وأعتقه فأجابها (نعم)، فقال أبو العتاهية لعتبة: أتأذنين لي - أصلحك اللّه - في تقبيل يدك، فأذنت له، فقبل يدها وانصرف. فضحك رئيس الحرس، والتفت إلى عتبة يقول لها: (أتدرين من هذا؟!) قالت: (لا) قال: (هذا أبو العتاهية، وإنما احتال عليك حتى قبّل يدك).

مضى أبو العتاهية في نظم الشعر وهو يلهج بحبه لعتبة، فمن قوله فيها:

- ألا يا عتب يا قمر الرصافة
ويا ذات الملاحة واللطافة
- رزقت مودتي، ورزقت عطفي
ولم أرزق - فديتك - منك رافه
- وصرت من الهوى دنفاً سقيماً
صريعاً كالصريع من السلافه
- أظل إذا رأيتك مستكيناً
كأنك قد بعثت عليَّ آفه

وقوله:

- أحمَدٌ قال لي - ولم يدرِ ما بي
(أتحب الغداة عتبة حقاً)
- فتنفست ثم قلت: نعم حباً
جرى في العروق عرقاً فعرقا
- لو تجسين - يا عتبة - جنبي
لوجدت الفؤاد قرحاً مفقا
- قد - لعمري - مل الطبيب وملّ
الأهل مني، مما أقاسي وألقى
- ليتني مت، فاسترحت فإني
أبداً ما حييت منك ملقى

وأجمل من ذلك، وأدل على استشعار اللوعة قوله:

- باللّه يا حلوة العينين زوريني
قبل المات، وإلاّ فاستزيديني
- هذان أمران: فاختاري أحبهما
إليك أولاً، فداعي الموت يدعوني
- إن شئت موتي فأنت - الدهر - مالكة
روحي، وإن شئت أن أحيا فأحييني
- يا عتب، ما أنت إلاّ بدعة خلقت
من غير طين، وخلق الناس من طين

ثم تجرأ أبو العتاهية فنوّه بحبه لعتبة في مقدمات قصائده التي يمدح بها المهدي وينشده إياها في مجلسه وهو بين حاشيته وغيرهم من الشعراء ومن ذلك قوله:

- ألا ما لسيدتي ما لها
أدلت فأحمدت إدلالها
- وإلا ففيمَ تجنَّت، وما
جنيت، سقى اللّه أطلالها
- وجارية من جواري الملوك
قد أسكن الحسن سربالها

وسرعان ما وثب أبو العتاهية إلى مدح المهدي ليقول فيما يقول:

- أتته الخلافة منقادة
إليه تجرجر أذيالها
- ولم تك تصلح إلاّ له
ولم يك يصلح إلا لها

وهذه المجاهرة بحبه أمام المهدي، وشهرة لهجه به دليل على صدقه في حبه.

ولكن عتبة ضاقت بذلك حتى كان يوم دخل فيه المهدي إلى جاريته الأثيرة الخيزران أم ولدين الهادي والرشيد فوجد عتبة تشكو إليها ما يلحقها من الشناعة وهي تبكي فلما عرف المهدي ذلك استحضر أبا العتاهية فلما حضر ووقف أمامه قال له:

أتت القائل في عتبة:

- اللّه بيني وبين مولاتي
أبدت لي الصد والملامات

فمتى وصلتك حتى تشكو صدها عنك، فاحتال أبو العتاهية ليلهي المهدي بأن يوجهه إلى ما هذه القصيدة من مديح فقال: يا أمير المؤمنين أنا الذي أقول:

- يا ناق سيري بنا ولا تعدي
نفسك فيما رأيت راحات
- حتى تجيئي بنا إلى ملك
توّجه اللّه بالمهابات
- عليه تاجان فوق مفرقه
تاج جمال وتاج إخباث

لكن المهدي ذكر بعض أقوال أبي العتاهية في عتبة فأفحمه وأمر بجلده فجُلد وأخرج متوجعاً فلقيته عتبة فقال له:

- بخ بخ يا عتبَ من مثلكم
قد قتل المهدي فيكم قتيلا.؟

فبكت عتبة لأنها رأت أبا العتاهية مجلوداً، وعندها أمر له المهدي بخمسين ألف درهم، ففرقها أبو العتاهية على من بالباب. فسأله المهدي: ما حملك على أن تقسم ما أكرمتك به من مال. فأجاب: ما كنت لآكل ثمن من أحببت.. فوجّه إليه بخمسين ألف درهم غيرها وحلف عليه ألاّ يفرقها فأخذها وانصرف.

واستمر أبو العتاهية في أشعاره يلهج بحبه لعتبة في عهد هارون الرشيد الذي عظمت عنده منزلة أبي العتاهية إذ كان يقربه إليه كثيراً حتى كان لا يفارقه في سفر ولا إقامة حيث كان لأن أبا العتاهية - كان - مع قبح خلقته - ظريفاً كثير الملح والنوادر فكان الرشيد يدخله مجالس أنسه ليسمع مدائحه فيه، ويأنس بأحاديثه، فبقي ينظم الشعر في عتبة إلى أن بلغ الرشيد يوماً شعره فيها منسوبة إلى الخليفة، ومن قوله:

- ألا إن ظبياً للخليفة صادني
وما لي عن ظبي الخليفة من عذر

فغضب الرشيد وقال: أسخر منا، فعبت وأمر بحبسه ودفعه إلى سجان فظ غليظ يسمى (تنجاب) فبالغ في إساءته فقال:

- تنجاب، لا تعجل علي
فليس ذا من رأيه
- ما خلت هذا في مخا
يل ضوء برق سمائه

أي أن هذا التعذيب ليس من رأي الرشيد، وأرسل وهو في الحبس بيتين إلى الرشيد:

- إنما أنت رحمة وسلامة
زادك اللّه غبطة وكرامة
- قيل لي قد رضيت عني فمن لي
أن أرى على رضاك علامة

فقال الرشيد: للّه أبوه، لو رأيته ما حبسته، وإنما سمحت نفسي بحبسه لأنه كان غائباً عني، ثم أمر بإطلاقه وعاد إلى تقريبه إليه.

فلما رأى ذلك أبو العتاهية عاود الرشيد يسأله عتبة فوعده بتزويجها بعد أن يسألها في ذلك فإن أجابت جهزها وأعطاها مالاً عظيماً.

ثم إن الرشيد سنح له شغل طويل فحجب أبو العتاهية عن الوصول إليه، وأراد أن يذكره بوعده، فلم يجد سبيلاً إلا أن يرسل إليه هدية بحسب قدرته وهي ثلاث مراوح، كتب على كل منها بيت شعر من نظمه وسلمها إلى مسرور الكبير وصيف الرشيد حامل السيف في صحبته. فدخل بها سرور على الرشيد مجمعة في يده وهم يبتسم، وأخبره أنها هدية أبي العتاهية إليه. فقرأ على المروحة الأولى:

- ولقد تنسمت الرياح لحاجتي
فإذا لها من راحتيه شميم

فقال الرشيد: أحسن الخبيث، وقرأ على المروحة الثانية:

- أعلنت نفسي من رجائك ما له
عنق يحث إليك بي، ورسيم

فقال: قد أجاد. وقرأ على الثالثة:

- ولربما استيأست، ثم أقول: لا
إن الي ضمن النجاح كريم

فقال: قاتله اللّه ما أحسن ما قال، ثم دعا به وقال: ضمنت للّه عتبة وفي غد نقضي حاجتك إن شاء اللّه. وبعث إلى عتبة: إن لي إليك حاجة فانتظريني في منزلك، فأكبرت ذلك منه، وسارت إليه تستعطفه وتطلب أن يذكر لها حاجته، فحلف ألا يذكر حاجته إلا في منزلها فلما كان الليل سار إليها مع جماعة من حاشيته، وقال لها: لست أذكر حاجتي أو تضمنين قضاءها. قالت: أنا أمتك وامرك نافذ في ما خلا أمر أبي العتاهية فإني حلفت لأبيك رضي اللّه عنه بكل يمين يحلف بها برٌّ وفاجر.. وبكت بين يديه فرقّ لها ورحمها وانصرف عنها. فلما غدا عليه أبو العتاهية قال له الرشيد: ما قصرت في أمرك وسرور وحسين ورشيد من رجال قصري شهود لي بذلك وشرح له الخبر.

قال أبو العتاهية: فلما أخبرني بذلك مكنت ملياً لا أدري أين أنا، قائم أو قاعد، وقلت للرشيد: الآن يا أمير المؤمنين - يئست إذ ردّتك، وعلمت أنها لا تجيب أحداً بعدك.

منذئذ: أحس أبو العتاهية خيبة آماله في عتبة، فلبس الصوف وتنسك، وترك نظم الشعر في عتبة أو غيرها وأكثر من قصائد الزهد في الدنيا.

هذه قصة شاعر توهم الحب لعباً، حتى إذا مسته آلام لذعه صاح يتوجع ويفضح سرّه بشكواه.

قصيدتان

• صفاء فرحان الشمندي

يناديني

يُناديني الليل فترق أسماعي
لندائه ومض النجوم وشُعلة القمر
أعشق صوته العابر في العمق
يهدهد الروح بيدٍ من الجمال
اعشق اعتقاده وفكره وعلو نبضه
في بلاط سادر الحنان
مداه رياض
تقطنه فوّاحة الزهور
وعبقٌ ينثر ما جمعته
في نشرة العطور
يُذيع أغنية لا مثيل لها
على مرِّ القلوب بالقلوب
وغابر الأزمان
في قديم العصور..
صفاء الروح

عصفورة الشوق

بالكاد ألمحها
نجمة ساهرة
تُغالب النعاس
عصفورة الشوق
تُزقزق بعد منتصف الليل
على نوافذ الوحدة الهادئة
كالشمعة
سأبني ليلاً لاهباً
من الأضواء الناعمة
هذا المساء
يشبه رغيف
التناهيد المدوّرة
بيد قروية
حاول النسيان أكلها
بعد تقطيعها .

مسوّدة من روزنامة نازح

• منير خلف

كم كنتُ أمقُتُ
أن أصيرَ مشرّداً
أو حائراً
أو نازحا
كم كنتُ
أرفضُ أن نكون
على الطريق،
ولا نكون على الطريقِ،
وكلُّنا نمضي
إلى بعضِ الحياة
مزمّلينَ
بخوف ما تركتْهُ
آثارُ الدمارِ
على الدّيارِ،
وكم نحتْنَ على الهواءِ
جراحَنا،
وتركْنَها ذكرى
تحاولُ
أن تلمَّ حضورَنا المرميَّ
في الطّرقاتِ،
تزرعُ كلَّ آنٍ رحلةً
في الصّمت،
تمنحُ للشّتاتِ مدائحا
كم كنتُ
أحلمُ أن نكونَ
كغيرما كنّا عليه
وغيرما آلتْ إليه الحالُ
.. حالُ الرفع منصوباً
على صفة
تعلّقُ كسْرَنا المطعونَ
بالنكراتِ،
تعلنُ غفلةَ العينَينِ
عن سرٍّ
ينمّي حرقةَ الذكرى،
ويُغلقُ في الطريق
إلى النجاةِ جوارحا
لا سمْتَ في يدنا
ولا جهة
تحدّدُ دربَ رحلتنــا،
فهل نأوي إلى جبلٍ ؟
أيعصمُ حاضرَ الإحساسِ
من معنى الضياع المُرّ؟
نخلعُ ما تبقّى
من كفافِ وجودنا ؟
حتى نحاولَ أن نكونَ
وأن نرمّمَ ما تكسّرَ
من خُطانا
وهي تفتحُ في الطريقِ
بلا طريقٍ واضحٍ
مُقَلَ القلوب نوائحــا
لن أكملَ الآتيْ
سأتركُ ما تبقّى من ندائي
للمآتم والفواجع
والخسائر
فاتحا
وعلى الحياةِ
الفاتحَه

على أسوار ذاكرتي

• رياض طبرة

على أسوار ذاكرتي حكاياتٌ معتقةْ
قناديل وأشواقٌ
ودمع العين أفراح وأتراح
فلا تأبه لمن يرميك بالمس
ولا تقعد عن البحث
فبعض البحث غايات ومقصود
وفيه الروح ترتاح
على أسوار ذاكرتي
رفاق الدرب من سهل ومن جبل
من الأرياف والمدن
ومنك أنت يا صما ....
على أهداب ذاكرتي أزاهير وأفراح
وصوت حبيبتي يشدو
كماء النهر في أكمام بستان
فينمو عشقه قمحا
وسنبلة تلوح كما لو أنها أمل
يداعب بعض أجفان....
على أسوار ذاكرتي تقاسيم مجرحة
لناي أسكت الحراس نغمته
فما لان .
أنين الناي يطربني ويبكيني
فلا أدري بأي الكف أخفيها لدمعتنا
ولا أدري بأي الروح ألقاه
ليحملني إليك اليوم يا روحي...
على أسوار ذاكرتي ترانيم مبعثرة
وطقس بات يحملني إلى ليلاك يا ليلى
ويكتبني كما شهد
على أهداب عاشقة يتوه اللب والفكر فينداح....
على أسوار ذاكرتي
رسائل حبنا الأولى
وفيها من لظى القلب تباريح وأشواق
وفيها الخير والمطر
وفيك اليوم أشعاري مطرزة
ببوح مثله الشهد

كمّامة غيابِ

•رنا بدري سلوم

المسافةُ بينَنا
ريفٌ
يبسطُ كفَّهُ
مصافحاً قاسيونَكِ
عابراً كورونا
وكمّامةُ الغيابِ
تلفُّ وجهيّ
أشتاقكِ دمشقُ
أشتاقُ سلطَتي الرابعة
من طابقها السادسِ
يبزغُ فجري
يُخطُّ الغيمَ
يترنّم بصلوات الأمويِّ
ورئتايَ تغبُّانِ أثيرَ
ملعبها التشريني
وهمسُ فيروز
يغدقُ فراغَ الروحِ
في كلِّ رفة عينِ
أرنوكِ صحيفتي "الثورة"
أشتاقكِ كما دمشقُ
أسوِّرُ الكلامَ
بأعمدة الوجدِ وحبرِ العيونِ
أشتاقُ
لأرصفةَ الصبح
والخبزِ المكدّسِ على رؤوسِ النساءِ
مثلهنْ ..
أحْملُ أفكاريَ المتعبَة
أبرِّدُ أرغفَةَ الوجعِ
بعفّة الانتظارِ
فخلا المكانُ منا
وحُجِّرتْ..!
لستُ مصابة بكورونا !
بل
بداء الشوقِ
ألملمُ شظايا "الأمانِ"
في تحية المصادفة
في ابتسامَتي وصدقَتي
الجارية في وجه أخي..!
أكنسُ زقاقَ القهرِ
على جَنباتِ الشآمِ
أمْشي بجناحيّ فراشة
ليفيقَ ضميرُ السلامْ
لا من أدمغة الجوعى..!
لا أُقتلُ ولا أُسلبُ ولا أهانُ
ولا أُرمى بحجارةٍ من سجّيلِ
إنْ حَملتُ وطني
بزند وردة
وارتديتهُ قلادة
فما نفعُ موتي
قبلَ الشّهادةَ
أنَّ وطني إله
قد رتّبَ
بصبره على البلوى
أبجديات العبادة.

طبيب قرية الباشا

• د. جرجس حوراني

عرف العمّ ديوب صاحب بقالية المنى، أن القادم إليه غريب عن القرية، من نظراته المرتكبة، فامتلأ صدره بالفرح. وحدث نفسه» الغرباء ظرفاء، لا يفاصلون في السعر، يمكنني أن أبيعهم ما أشاء من البضاعة.. لم أخطئ إذ سمعت كلمة زوجتي باختيار موقع البقالية في مدخل القرية فهذا المكان المناسب لاصطياد الغرباء الذين لا يبالون بما يدفعون». وانطلق صوت ديوب مُرحباً بالغريب الذي ركن سيارته واتجه نحو البقالية:» يا أهلا.. يا أهلا، بالباشا.. نورت قرية الباشا». ردّ الغريب التحية بهزة رأس متمهلة. وقال ديوب وهو يقدم كرسي للضيف:» شرّفت المحل، يا أستاذ». وفتح قنينة ببسي، وقدمها للضيف، وفتح الثانية، وهرع يقدمها للمرأة التي بقيت في السيارة تنتظر.وقال ديوب:»ببسي لبنانية، من النوع الفاخر، صحيح أن سعرها ضعف سعر الوطنية ولكن لها مذاق طيب، أصلاً لماذا يجمع الإنسان المال؟ أليس لكي يستمتع بمذاقات طيبة في هذه الحياة.. لي رفيق باع أرضه، لكي يقدمها مهراً لصبية جميلة، وقال لي: ما فائدة الأرض، لماذا ورثني إياها أبي، أليس لكي أحصل بها على فتاة جميلة تطيّب حياتي.. إنسان فهيم. هه، هه.. ما رأيك بمذاقها أستاذ.. عفواً لم تشرفني باسمك»؟ وقال الغريب: «نعيم.. اسمي نعيم. «ومدّ ديوب يده مصافحاً الرجل وكأنه يعرفه منذ سنوات عديدة: «أهلا أخي نعيم.وقدم له قطعة بسكويت، وحمل الثانية ليقدمها للمرأة. وشكر نعيم صاحب البقالية:»اشكرك على حسن الضيافة». زمّ ديوب فمه: «ضيافة. ضيافة! آه، صحة وعافية يا أهلا بضيفنا العزيز نعيم، أبو.. «ورد نعيم: «لم يرزقني الله بعد، كنا قد.. ، لكن يبدو أن الله لم يأذن بعد.. الحمد لله على كل شيء، إنه رحيم ولا ينسى عباده».وقال ديوب مبدياً تعاطفاً نحو الرجل الذي بان على وجهه الحزن:» يأتي، الولد يأتي، الله لا يقطع أحداً.. رزقني الله ثلاثاً، والآن أعيش مع زوجتي وكأننا بلا أولاد، كل منهم حلق بعيداً دون أن.. على كل حال لهم دنياهم، ولم يرزقنا الله بهم كي نأسرهم معنا. هل هي المرة الأولى التي تزور فيها قرية الباشا أخي نعيم»؟ وقال نعيم الذي راح ينظر نحو زوجته التي تبدي ضجرها في السيارة: «الحقيقة لم أتشرف بها من قبل. لكن الحاجة تدفع الانسان أن يجوب الهند والسند كما يقولون.» ورفع ديوب حاجبيه عاليا يتأمل القرية:» وما هي الحاجة التي دعتك لزيارتنا»؟ وضع نعيم قنينة العصير جانباً: «شكراً على العصير، فعلاً طيب المذاق، سلمت يداك.. قالوا لنا يوجد في هذه القرية طبيب شاطر». وقاطعه ديوب:» طبيب شاطر في هذه القرية.!» وحدث نفسه: أكيد شاطر بلعب الورق، اللعين لم يتركني أربح ولا مرة» وقال نعيم: «لم نترك طبيباً يعتب علينا في المدينة، طرقنا باب كل الأطباء لم نوفر أحداً، لم نعد نفكر بالاختصاص.. دعك مني، أنا رجل مؤمن بالعلم والاختصاص، لكن النساء، لهم نظريات مختلفة، إنهم يؤمنون.. لا أعرف بما يؤمنون.. لكن في الحقيقة، كان الأمر ممتعاً.. لو ترى ماذا حدث عندي في البقالية. عندي بقالية مثلك أيضاً، لكنني أبيع فيها الخضار، عندما قالت لي زوجتي أن التحليل إيجابي،ارتبكت ماذا أفعل. جمدت في مكاني فقط، فصرخت:ماذا تنتظر؟ وقلت لها:ماذا أنتظر؟ قالت لي: اذهب وأحضر أكبر صينية كنافة في العالم.وركضت كرجل آلي، واشتريت ما طلبت زوجتي وعدت، قالت لي: ضعه هناك في مدخل البقالية، وضعته. ثم صرخت: ماذا تنتظر؟ قلت لها: ماذا أنتظر؟ قالت لي اذهب بسرعة واحضر مثله. وركضت مرة ثانية كرجل آلي أطيع الأمر. هل تعرف، عندما كان الزبائن يأكلون ويباركون لنا، كان صدري ينتفخ بقلبي الذي يكبر ويكبر. الحقيقة شيء جميل أن يكون للمرء ولد.. شيء جميل. وخاصة إذا جاء بعد عذاب كبير. لقد تعذبنا كثيراً، كثيراً. الولد يذل يا رجل. لم يبق طبيب مختص بأمراض النساء إلا وزرناه. والكل مصمم أن لا أمل. المشكلة بالرجل الواقف أمامك. لم يرزقني الله قوة الانجاب.ماذا نفعل؟ حكمة الله لا نستطيع أن نناقشها. لكن هل ارتاح راسي، كل من يراني ينق: طفل أنبوب. طفل أنبوب. كنت عنيداً، أرفض أن أزرع برحم زوجتي نطافاً غريبة. وذات يوم دخل أخي يحمل بندقية، وجهها نحوي وقال لي:هيا.قلت له:هيا، إلى أين؟ ولم ينتظر، شدني كمعتقل، دفشني في سيارته. هيا، هيا. وقادني أنا وزوجتي إلى العاصمة.إياك أن تتنفس، سوف أنهي كل مخزن البندقية في رأسك وأرتاح من هذا الرأس العفن. ولم أجد نفسي إلا في مركز لطفل الأنبوب. وأجرينا العملية. لكنها فشلت. وهكذا بدأت سلسلة العمليات. وكان في كل مرة، يدخل حاملاً البندقية ويعيد المسلسل نفسه: كنت أقول له: إننا نهدر المال فقط، لو أراد أن يرزقني ولداً، كان رزقني منذ البداية. لكنه كان قد وضع قطناً في أذنيه، فقط يسدد البندقية نحو رأسي. لكن في المرة الأخيرة. دخلت زوجتي، مثل عروس، لم أرها يوماً جميلة مثلما رأيتها هذه المرة، وقالت لي: التحليل إيجابي. وراحت ترتجف مثل ورقة، وتصيح: إيجابي يا نعيم، إيجابي، وبدأت تبكي.هل تصدق، اشتريت كل حلويات جاري وأكلها الزبائن، وكل من كان يمر بالشارع، وكنت فرحاً على ما يبدو. لكن ماذا نفعل؟ يا أخي إذا كان الله لا يريد، فإنه لا يريد. لا أحد ولا حتى كل عقول العلماء يمكنها أن تفرض شيئاً لا يريده الله. قالت لزوجتي زبونة وهي تنتقي البندورة: ماذا في بطنك يا خلود؟ صبي أم بنت؟ زمت زوجتي فمها لا تعرف، ولا يهمها أن تعرف.. المهم عندها أن يحمل هذا البطن طفلاً، ترضعه، وتغني له،وتلبسه ثياب المدرسة، وتحضر له دروسه، ليس أكثر. لكنها ذهبت في اليوم التالي تقصد مصور الأشعة، تريد أن تعرف جنس الجنين. قال لها بكل بساطة: لا أرى جنيناً. اللعين، الفاشل، الكاذب. هكذا جاءت تولول، وتقول لي: إذا كان لا يعرف لماذا أعطوه الشهادة، هل أرواح الناس لعبة بين يديه. وبدأ مسلسل الأطباء، تنتقل من طبيب إلى آخر، تصور وتسمع الكلام نفسه. وماذا نفعل.أنا أؤمن بالعلم يا أخي. صحيح أنني بائع خضار لكنني أؤمن بالعلم، لكن تلك المرأة التي تجلس الآن في السيارة لا أعرف بماذا تؤمن. تقول لي: وهذه الشريطة أليست علماً أيضاً. شريطة حملتها بيدي، ورأيت اللون الأحمر يسطع بها بعيني، هل أكذبها واصدق عيون آخرين، يلبسون النظارات؟ قال ديوب: «معها حق.الشريطة علم والايكوعلم». وضحك نعيم: «ماذا تقول يا رجل، هل هو إيكو واحد، أنه ألف إيكو مقابل شريطة واحدة.على كل حال قالوا لنا في هذه القرية طبيب شاطر، هل تدلني عليه. لقد ذابت المرأة مثل شمعة.انظر إليها، كانت مثل خيارة ممتلئة تفوح منها رائحة ذكية، والآن ضمرت كعود الفاصولياء». وقال ديوب:» هل قالوا لك في قرية أم الباشا يوجد طبيب شاطر؟». قال نعيم:» نعم. «وأبعد ديوب راسه عن ضيفه وحدث نفسه: توفيق طبيب شاطر، هه، هه، شاطر بماذا يا ترى، كيف سأدلهم عليه الآن؟ اين سأجده أصلاً؟ وسرح البائع قليلاً يضرب بإصبعه خده، ثم حسم أمره أخيراً وهو يقدم علبة راحة للضيف:» تفضل. نعم طبيب مميز.توفيق. نال الجائزة الأولى في رومانيا.تفوق على كل الرومان. دكانه، أقصد عيادته في الشارع المتعامد مع الساحة تماماً قرب المدرسة». وحمل الرجل علبة الراحة، واتجه نحو زوجته وهو يقول لها بصوت مرتفع: «يقول إنه نال الجائزة الأولى في رومانيا.. تفوق على كل الرومان. وانطلق نعيم نحو زوجته يقول لها بصوت مسموع: يقول أنه نال الجائزة الأولى في رومانيا.. وبرقت عينا الزوجة. وانطلقت السيارة.

وقف ديوب يلاحق غبار السيارة ويهز رأسه: نضطر أحيانا أن نكذب، ماذا نفعل وهاهم يفرحون حتى لو كنت تكذب عليهم!

رحيل الأديب الشاعر

غسان حنا

نعى اتحاد الكتاب العرب رحيل الأديب الشاعر غسان حنا إثر تعرضه لأزمة قلبية.

ولد الشاعر غسان صديق حنا في مدينة بانياس عام 1948.

- عضو اتحاد الكتّاب العرب- جمعية الشعر.
- إجازة في اللغة العربية

من مؤلفاته:

- اثنتا عشرة مسرحية في مسرح الأطفال
- مملكة الغبار
- حتى يدحرج الحجر
- نحيب الظلال
- المتنبي ومرآة الماء
- أوراق اعتماد

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأسرة تحرير /الأسبوع الأدبي/ يتقدمون بأحر التعازي والمواساة من أسرة الفقيد الشاعر غسان حنا، راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهم أهله الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

كمن لا يعرف الشاعر

•د. عبد المطلب محمود / العراق

وسنعرف من حميد أن هذا المُلاّ العجيب «ما عرف السفرُ/ أقام في أسئلة مُقفَلة.. لمْ ولماذا؟!/ مَن وماذا؟!/ نقّلَ الخُطى على الثّوانيّ في طريق الوجد../ بين الخوف والحرمانْ/ يضحكُ حيثُ كانْ»(27)، وسنعرف أنه في نهاية الأمر؛ أمر حياته التي قضّاها بين الغناء والرقص والضحك والبكاء:

«هو الذي استجارَ بالنار من الرمضاءْ
هو الذي..
أقام ظامئاً على ضفاف الماءْ».

بما أشار من جهة إلى بيت الشاعر العربي القديم، الذي ذهب مثلاً:

المُستجيرُ بسعْدٍ في بليَّتِـهِ كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقدّم من جهة ثانية دالاً مؤشّراً على مدلول الحرمان العام الذي عاش هذا الرجل العجيب في ظلاله، على الرغم من حيويّته وأنسه وروحه المتوهجة بالسعادة الظاهرة.

أما ورقة الرثاء الثانية التي خصّ بها المطرب والملحن البغدادي الراحل عباس جميل، فقد جعل منها الشاعر عرضاً شعرياً جميلاً لبعض ملامح هذا الفنان الموسيقي بالحياة والموسيقى، وببغداد التي ولد وعاش في أزقّتها ثم في أجواء لياليها صحبة عوده وذاكرته البيضاء:

«ذاكرةٌ بيضاءْ
وجد العودُ البغداديُّ لياليه.. على صفحاتِ منها
وأقام عليها مملكة الماءْ
..قال أخطّ عليها اللحنَ الغائبَ..
أخرجُ منها حين أكونُ.. خبايا الأوتارْ
قال.. أحاول أن أغوي في الليلْ
جنّيات الماءْ...»(28)...

ولأن الرجل كان معروفاً بعلاقته الفنية الوثيقة بالمطربة الريفية الراحلة (زهور حسين)، أشهر من غنى على مقام (الأوشار) الشجي، صارت بحد ذاتها تراثاً فنيّاً عالقاً في ذاكرات آلاف المعجبين بصوتها، وبألحان هذا الفنان، لذا رأى فيهما حميد سعيد، ونسب إلى الفنان ما رأى في الاثنين «بين جموح الأوتار وحنجرة من جمر ونُصارْ/ قال../ يجمعني وزهورُ حسينْ../ الحزنُ الصاخبُ في الأوشارْ»، ثم رأى في الرجل الفنان فتًى في السبعين وصبيّاً في الخمسين، وأنه كان يقول «قرأتُ على مَن علّمني../ في الصحف الأولى../ كان البلبلُ شيخاً ورعاً/ لا يقرب معصيةً.. يتوضأ بالنور../ يُغنّي»، ومن هذه العبارة التي تشير إلى دال مأثور شعبي عن علاقة البلابل بالغناء، قدّم لنا حميد سعيد لقطتين جميلتين لعلاقته ببغداد وبالعراق، في الأولى جمع بينه وبين ذلك المغني والملحن العباسي الشهير (زرياب) والبلبل، فأفاد من توجيه هذه العلاقة بالماضي:

«غنّى للناس جميعاً.. للأمراءِ وللفقراءْ
غنّى لحبيبتِه بغداد
زريابُ أقامَ لها في ماضيها.. فردوسَ نشيد الإنشادْ
وأقام لها البلبلُ.. عرساً
وأقام لها عباس جميل..
تقاليدَ السهر الليليِّ وأعياد الأعيادْ»(29)...

بينما قدّمه في الثانية شهيد الحزن على وطنه الذي لم يرَ في الأفق الممتد من القلب إلى بغداد/ سُعارَ العاصفة السوداءْ»، كما لم يرَ «بيت المحبوبة.. يغصبه الغرباء»، لكنه رأى ما هو أشدّ قسوة على قلبه، إذ:

«حين أراد الماءُ
رأى وجه الوطن الدامي في الماء..
فماتْ»(30).

وفي ورقة الرثاء الثالثة التي خصّ بها الشاعر صديقه الشاعر الأردني (سليمان عويس)، سيجمع شتات ذكريات صارت تاريخاً بحد ذاتها، تاريخ مواقف وطنية وقومية للرجل الشاعر المرثي، يبدو أنه عُرف بها في حياته وبعلاقته بوطنه الثاني العراق في المحن التي مرّ بها. ولكي تكتسب المرثيّة أبعاداً من سحر الشعر وألوانه الجميلة، جمع بينه وبين الشاعر الرحل عبد الرحيم عمر في ليلة سمر بابلية، كان الشعراء الثلاثة فيها نجوماً التقت تحت بريقها كل من بغداد/ مدينة حميد، ودبّين/ قرية عويس، وجيّوس/ قرية عبد الرحيم، واستعاد المغني العجوز - أحسب أنه الملا محمد علي- حضوره، وكان ذلك كله:

«... في ليل بابلَ.. حيث هو الليلُ
أنت وعكّازك الأنيق.. وعبد الرحيم
السماءُ القريبةُ من بيت عشتارَ.. تفتحُ باباً لنا
وتُقرّبُ جيّوسَ منّا
إذ قرأنا على الجُدُر البابلية.. مَوالَها
وسمعنا أهازيجَ دبّينَ..
وطفلةٌ.. ترقصُ في ليلة العرس.. تضربُ خلخالَها...»(31)...

ولأن محبّة الناس أطربت الرجل المرثي سيُطلق أحد مواويله المؤثرة بلهجته الشعبية الأردنية:

(لا تصطفي ذاك الصديقْ المُش ويّي..
تلقاه باليوم العصيب.. بيختفي)

وسيشهد له حميد على وفائه في الساعة العصيبة، وسيسجّل له أنه رأى «الذي سيكون» وأنه فرّق «بين الحمامة والبوم/ بين القرنفل والفقع»، فغنى لبغداد: (بغداد يا دار الفدا.. لا تندهي ما في حدا)، حتى إذا ما التقى الشاعران في عمّان، وقد رحل ثالثهما عبد الرحيم:

«كنّا وحيدَين..
ضيّقة كانت الطريقُ إلى بيت وضحة
ضيّقة كانت القصيدة.. حتى المواويلُ ضاقتْ بنا...
كنّا وحيدَين..
كل الذي كان.. فارَقنا ومضى»(32)...

حتى إذا ما رحل عويس أيضا، شعر الشاعر حميد بالوحدة تماماً، وراح يلمّ شظايا عويس ويسمع صوته الذي صار دائم الحضور لا في ذاكرة حميد حسب، بل في تاريخ ما سيبقى شاهداً على محنة الإحساس الممضّ بالوحدة، لا بل الوحشة في غياب الصديق الوفي، التي عبّر عنها ذلك المَوّال الشجي وقد تحوّل إلى صدى يتردد تراثاً لمفصل من مفاصل محنة الشاعر المتواشجة مع محنة الوطن.. والمتعالقة معها.

في القصيدة الخامسة (يا محمد.. هذا كتاب إلى الناس)، سنكون أمام وفي صُلب الرسالة التي حملها النبيّ العربي محمد بن عبد الله، صلوات الله وسلامه عليه، وسيكون عنوان القصيدة كافياً - ابتداءً - لتبيان الموجهات التراثية التي زخرت بها القصيدة، ولاسيما المرجعيات القرآنية والتاريخية، وسيكون لازمة من لوازمها المترددة في أماكن متفرقة منها، إذ سيرتفع صدى الكتاب وما انطوى عليه من إرادة ربّانية لإنقاذ البشرية من الطغيان والجبروت والظلم والجهالة:

«ومن نور ما أنزلَ الله..
طا.. سين
روحٌ يعيد إلى الأبجدية ما سلبتْه الضلالةُ منها
ويُبعد عنها.. رماد الأساطير
هذا السلامُ الذي يتنزّلُ في الروح.. قرآنهُ عربيّ
رجلٌ ونبيّ...»(33)...

لكن حميداً سيعمد إلى الإفادة من عدد من الدوالّ على العنت الذي واجهه النبيّ الكريم من قومه، ولاسيما ممن وصفهم بـ «الغلاة» بأبائهم وبأنفسهم وأوهامهم، ليُسقط ما في الحاضر من هؤلاء الذي أتى بهم المحتلون على أولئك المارقين، لتماثلهم معهم في المواقف، لا بل بتفوقهم على أولئك بالغش والخداع وتشويه قيم الإسلام الحقة وتزوير تعاليمه، والإساءة إلى كثير من رموزه وتاريخه، ليبدو التعالق بين ذلك الماضي وهذا الحاضر متلازماً، فهو إذ يتساءل عمّا إذا كان بإمكان الرسول أن يُنقذ مكة - بمدلولها المجازي المعاصر - من نفسها، وأن تكون كما كان يُريدهُ لها لا أن تتحوّل إلى بؤرة للفساد والطغيان والظلم والجهل، وهذا ما دلّ عليه سكوت الشاعر عنه واكتفاؤه بدلالاتها:

«هل سيُنقذ مكة من نفسها؟!
ويُعلمها.. أن تكون كما كان..
لا أن تكونْ.....»...
سيضعنا أمام هؤلاء الغلاة:
«الغلاةُ بأوهامهم وبإرثِ السنينْ
الغلاةُ بأبائهم وبأنفسهم
تتعثّر أحلامُهم بحجارة أوثانهم..
بالذين نأى طائرُ النور.. عن ظلُمات منازلهم»(34)...

ثم سيستدعي من ذلك الماضي صوت المؤذن بلال الحبشي ليُحرّر أسيادَهم والعبيدَ، ويؤكد:

«إنّ هذا النشيد
يصعدُ بالحائرين إلى ملكوت السماء
ويختارُ للمُتعبين طريقاً.. إلى لحظة في زمانٍ جديدْ
الطغاةُ الأذلاّءُ والسادةُ الخاثرون.. لمْ يَرَوا زمناً..
غيرَ ذاك الذي يتعفّنُ في المُدن الميّتة»(35)...

وسيقف منه «الذين يُقيمونَ في عالَم بارد» موقفاً مليئاً بالشكوك والرِّيَب، ولكنه سيواصل تبليغ ما أنزل عليه في الكتاب إلى الناس، ليكون أحد أهم الرموز الرسالية:

«الحيّ الذي فرّ مما حباهُ الإلهُ.. الطغاةُ
واليتيمُ الذي علّم الناسَ.. معنى الحياةْ
والفقيرُ الذي جعل الخبزَ.. حقاً
وكان النداءْ
يا سين..
خذ بيد الحائرينْ»(36).

والمقصودون هنا هم - بلا شك - الحائرون الجُدُد، الذين صاروا يواجهون طغاة العصر وذيولهم، ويعيشون في الحاضر الآني ظروف أولئك الحائرين الأقدمين، ليستمر في هذه القصيدة مشهد متماثل ظاهراً، مختلف في بعض تفاصيله إلى حد ما مثلما شاء له الشاعر.

وفي القصيدة السادسة (بستان قريش)، سيُدخلنا حميد سعيد في بستان افتراضي «موحشةٌ أرض الأسئلة الأولى» فيه، إذ «رحلت عنها الأنهارْ/ وجفاها الطيرْ»، وسيعمد الشاعر إلى توجيه تراثي يجعله مفتاحاً للدخول في البستان، عندما سيلجأ إلى أسلوب الرواة والمؤرخين الأقدمين، بإسناد أخبارهم إلى مَن تناقلوها عنهم: «حدّثنا الكلبي/ عن الخنزير ابن العبدْ/ عن كلبونْ»، وهي أسماء لها دلالاتها السيئة الظاهرة بالتأكيد، لأن ما سينقله أوّلهم سيُخبر عن أمور بالغة السوء، إذ:

«قالْ:
يأتي زمنٌ يتهادى فيه الفقهاءُ الناسْ
يستبدلُ شيخُ السوء.. كتاب الذّلّ..
بما كتبَ الجاحظُ والحسنُ البصريُّ..
ويُطردُ بشْرُ الحافيْ
ويُصلبُ زيدُ بنُعليّ.. ثانيةً
ويُباع أبو حيّان التوحيديُّ.. بدولارَينْ
لا زيدُ الخيل.. ولا زيدُ الخيْر...»(37)...

لأن هؤلاء الذين صاروا رموزاً مضيئة للآداب والأفكار والعلوم والتصوُّف، لم يعودوا يخدمون مصالح «فقهاء» الدجل والزور الذين ظهروا بكثرة، وازدهرت بضاعتهم التي راحوا يبيعونها على الناس تحت غطاء رئيس واسع يدّعون أنه (حُبّ آل بيت الرسول)، وصارت «تمضي اللغةُ الميتةْ..» في طرُقها المفتوحة لها في الزمن النازل إلى المهاوي، بدأت أسئلة الشاعر تنبعث صعوداً بالمرارة والحيرة معاً:

«إلى مَ.. تنوءُ تنوءُ رواياتُ الإفكِ بما حمّلتْ؟!
ولماذا يغتالون عليَّ بنَ الجهْم...
ويختطفون ابنَ زُرَيق البغدادي..
يغتصبون..عُليّةَ بنتَ المهديّ..
ويُعيدون إلى الظُلمات.. القمرَ الطالعَ من فلَكِ الأزرارْ؟!»(38)...

وهي - مثلما نعرف - أسماء لرموز من العصر العباسي، استبدل بها الشاعر ولا شك أسماءَ معاصرة لشعراء وفنانين معاصرين، تعرّضوا ومايزالون يتعرّضون لمثل هذه الجرائم، منذ احتلال العراق وطوال أعوامه المنصرمة، وقد أفاد من أحد أبيات قصيدة ابن زُريق اليتيمة الشهيرة:

أستودعُ اللّه في بغدادَ لي قمَراً في الكرخ من فلكِ الأزرارِ مطلعُهُ(39)

لإضافة مزيد من دلالات حجم الشرّ الذي أصاب كلّ شيء جميل في تاريخ بغداد الراهن، مادمنا نعرف- ربما- أن القمر الطالع من فلك الأزرار ذاك، مثّل لابن زُريق البغدادي يومئذ أعزّ وأثمن ما كان لديه - حبيبته/ زوجه الجميلة بالحتم - التي تركها في بغداد وتوجّه إلى الأندلس، سعياً وراء تغيير حالته المعيشي نحو الأفضل، مثلما أخبرتنا بهذا قصة حياته.

ليس هذا حسب، بل إن النهر اضطرّ أن يكتب وصيّته «بعد رحيل الماء»، وستنقلب الأمور العامة رأساً على عقب، فحتى الطير الأخضرُ الذي كان «يخرجُ من هزّج الأطفالْ/ من شهقة مَوّالْ/ روْعه حفّارُ قبورٍ محتالْ/ فطارْ»، أو هاجر بعيداً بالحتم، بعد أن استولى هؤلاء المرموز إليهم وأمثالهم على المشهد، لكن الشاعر - في لحظة صفو نفسي - مثلما يتبدّى عبر الخطاب المتردد المكتنز بالرجاء، وعبر بعض الوهج القرآني الروحي الذي أظهرته بعض عبارات هذا المقطع من القصيدة، سيُخاطب مَن لا ندري - ربما بغداد - خطاباً مليئاً بالثقة والأمل والرجاء، ولاسيما هذا الأخير الذي سيتواتر بتكراره خمس مرّات متتابعة:

«اقتربي.. يا مَن كنتِ معي لأكونْ
اقتربي.. يا مَن كنتِ معي حيث أكونْ
اقتربي.. سأكونْ
اقتربي.. يتعافى الرملُوتنزلُه جنّاتٌ وعيونْ
اقتربي.. تُبعثُ ليلى.. ويعود العقلُ إلى المجنونْ»(40)...

وإنْ سيُفاجئنا سريعاً بأن مَن يُناديها راحت تبتعد أكثر، لأنه مثلما سيُخبرنا هنا أيضا كان يبحث في أرضها - هي مدينة إذاً - عن «ماء.. عن طينْ»، فكان بحثه هذا انتهى به إلى أنّ يجد الأرضَ مجرّد أطلال، وأن ما عثر عليه «نملٌ شرسٌ وخيولٌ نافقةٌ وعقاربُ حُمرٌ وصلالْ»(!)، وسيرى أمّه «أم الخير» و«ابنة ربّ النهرَين» الـ «تعشقها الأذنْ.. وتعشقُها العينْ» في إحالة إلى بيت بشار بن برد الشهير:

يا قومُ أُذني لبعض الحيّ عاشقةٌ والأُذنُ تعشقُ قبل العينِ أحيانا

قد وقعت تحت أقدام «الفيل الآتي من مدن الأقنانْ/ يهدم بيتَ الله/ والديرَ.. ومعتزَلَ الرهبان/ وبيوتَ الجيران»، بينما يقول الأقنان إن ما يفعلونه من أجل الإنسان، وهذا الفيل الذي يُذكّر بفيل إبرهة الحبشي «أغار على بيت الحكمة/ واغتال جنودُ الغزو.. الكنديَّ وموسى الكاظم والنعمان/ وشهَرَ إعلامُ المحتلين/ بزبيدة بنت العباس/ وبعمّتنا النخلة(×)/ وبدجلة/ وبألوان جواد سليم/ ولوحات التُّرك ومهر الدين وآل سعيد/ ومقامات القبّانجي.. وبستات البغداديين/ شهَر../ بالجوريّ وبالبرحيّ وورد الرمان/ ويقول الأقنانْ/ هذا من أجل الإنسانْ»(41)، وكلها أسماء لشخصيات دينية وفكرية وفنية حقيقية معروفة، ليدور بنا الشاعر في أزقة بغداد ويُرينا أبرز معالمها ويخبرنا شيئاً عن (هاشم البغدادي) أحد أبرز خطّاطيها، وآثاره المنتشرة على جدران الجوامع والمساجد حتى منتصف السبعينيات، وما آلت إليه لا خطوطه وحدها بل هذه المعالم المذكورة وغيرها، من اندثار بعضها وتساقط بعضها الآخر، حتى إذا ما فاجأنا بقتل عبد الله - بطله الأثير- ونفي (عشتار)، صار المشهد:

«يزدحمُ الموتي في الطرُقاتْ..
ويهربُ منها الأحياءُ
يتوكّأ قبرُ الحلاّج على ظلٍّ مُنسحب..
وتشيخُ المئذنةُ المليّةُ في سامرّاءْ»(42)...

ولسوف «يذهب سوق الغزل إلى النسيانْ»، وسوف تنتهي حياة إمام جامع الخلفاء المجاور لهذا السوق الأقدم في بغداد، الشيخ (جلال الحنفي)، الذي شُهر بولعه بفنون العروض الشعري والمقامات الغنائية، سيُدير الشاعر بالأخير دفّة قصيدته هذه نحو شيء من بدايتها، لنشهد مشهدها الأخير:

«مُذ حلّ ببستانِ قريشْ.. ما حلّ ببستانِ قريشْ
وتناثرَ في لغة الناسِ دمُ السُّمّارْ
رحلتْ عن أرضِ الأسئلة الأولى.. الأنهارْ
وجفاها الطيرْ»(43).

عندئذ فقط أعلمنا الشاعر أن ثمة بستانَين لقريش، وتبيّن لنا أنه إذا كان الأول قد اندثر بفعل عوامل الزمن، فما حلّ بما تبقّى من ذاك في الثاني منهما، من معالم أثرية وتراثية وأعلام وتفاصيل حياة، إنما تناثر بفعل فاعلين من غزاة وذيول غزاة وتابعين أذلاّء لهم، وبذا كان شأن المشهد العام هنا شأنه في القصيدة السابقة، متماثلاً في كثير من ملامحه وعوالمه بين ذلك الماضي؛ قريبه وبعيده، وبين هذا الحاضر الذي لم يختلف عنه إلاّ بالأسباب، وإلاّ بما حدث فيه تدمير وقصود وتخريب منظم وقتل بلا وازع من خُلُق أو ضمير.

وأخيراً؛ تتبدّى أمامنا في القصيدة السابعة (ربّما نلتقي بزمان جميل)، حال بلاد صارت نهاراتها ولياليها من «رَمَد ورماد»، ومثلها بساتينها وطرُقها وحتى نجومها وخيولها وصهيل خيولها، وجعل الشاعر يردد لازمة:

«مدنٌ في السخامْ
مدنٌ من سخامْ
لغةٌ تتشكّل في مهرجان الغرائزْ»(44)...

الغرائز المقيتة المنحطة، المتخلفة من حرمانات قسريّة، فرضتها وتفرضها أهواء أناس مشدودين إلى الرذيلة، ولا يفكّرون - مجرد تفكير- بالخروج من قماقم العفاريت الصدئة، فراح هؤلاء المدلول عليهم بـ:

«الأباطرة الجاهليين.. يغتصبون الكلامْ
والمرازبة الدمويين..
يرتجلون في كلّ يوم..
إماماً..
ويختلفون عليه»(45)...

وفي يقيني إن مَن لم يعيشوا الحالة ويفهموا مداليلها بخلفياته العميقة، لن يستوعبوا بسهولة أبداً أساليب هؤلاء المذكورين بصفاتهم القديمة، الذين سيعاود حميد سعيد ترديد صفاتهم هذه مراراً في أماكن عديدة من قصيدته هذه، في التحكّم بشؤون الحياة العراقية بعد الاحتلال، وقد جعلوا السخام اللون الأكثر انتشاراً في البيوت والوجوه، حتى لكأن السخام صار «يخرج مؤتزراً ببقايا من الوهم../ بالدم../ منتعلاً سفلةً بعناوينَ خرقاء/ فقهاءْ/ عبيد أرقّاءْ/ يقود المرازبةَ الدمويين/ والساقطين.. الأباطرةَ الجاهليين/ إلى موعد.. تتعثّر فيه المروءةُ/ في موكب.. يتعفّن فيه الكلامْ»...

لكنّ الشاعر الذي لم تفارقه مرجعياته التراثية المتنوعة، ولم يتخلّ يوماً - مثلما صرنا نعرفه - عن تطلعاته الشريفة تجاه الحياة

ووعوامل اندفاعها الحتم نحو المستقبل، سيُنهي هذه الموجهات الأفقية القاتمة اللون، فيختتم قصيدة ديوانه (مشهد مختلف) الأخيرة، بأمل دلّ عليه بالحرف (ربّما) وتوابعه التي ترى إمكان أن «نلتقي على غير ما موعد» ذات عام «بزمان جميلْ/ نتوحّد في وردة المستحيل»، الوردة التي تحمل عوامل تفتّحها الحتم في توهجها المغلق أمام العواصف والحشرات الضارّة وأصابع العابثين.

ما أفاد منه المبحث:

حميد سعيد، الديوان، ط1، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمّان، 2012: 11.
نفسه: 15.
نفسه: 18.
انظر؛ ديوانه، ط دار صادر، بيروت، بلا تا. :15.
نفسه: 34.
نفسه: 69.
انظر؛ ناصيف سليمان عواد (محقق)، شرح الأشعار الستة الجاهلية للبطليوسي، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، بلا تا.: 1/328.
حميد سعيد، الديوان: 26.
انظر؛ أحمد زكي الأنباري، نجد في الشعر العربي، م. س.: 71.
انظر؛ د. عبد المطلب محمود، دراسات في شعر العصر الأموي، بلا نا. بغداد، 2008: 1-86.
حميد سعيد، الديوان: 26 وما بعدها.
نفسه: 27.
نفسه: 29.
نفسه: 33.
نفسه: 37.
انظر؛ ديوانه، تحـ: علي عبد العظيم، مكتبة نهضة مصر، 1957.
حميد سعيد، الديوان: 42.
انظر؛ محمد مهدي الجواهري، الجمهرة، ج2- العهد الإسلامي والأموي، وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1990: ق1/ 139.
حميد سعيد، الديوان: 48.
نفسه: 49.
نفسه: 50 وما بعدها.
نفسه: 55 وما بعدها.
نفسه: 58.
نفسه: 62.
انظر؛ إيليا حاوي، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1970: 207.
حميد سعيد، الديوان: 65.
نفسه: 69.
نفسه: 70.
نفسه: 71 وما بعدها.
نفسه: 72 وما بعدها.
نفسه: 74.
انظر؛ نافذة لأقمار الشعر، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2014: 23- 44. علماً إن القراءة مذيّلة بتاريخ تشرين الثاني 2010.
حميد سعيد، الديوان: 77 وما بعدها.
انظر، حميد سعيد، مشهد مختلف، م. س.: 92.
حميد سعيد، الديوان: 80.
نفسه: 81.
نفسه: 85.
نفسه: 87.
نفسه: 91.
انظر؛ ديوانه (سَقْط الزَّنْد)، شر.: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990: 268.
حميد سعيد، الديوان: 92.
نفسه: 94.
نفسه: 96.
نفسه: 98.
نفسه: 99.

حوار مع الفنانة التشكيلية عبير منون

• عبد الحكيم مرزوق

• المرأة تعني المعاناة الممزوجة بأحاسيس القهر وخاصة في هذه المرحلة التي تعيشها سورية الحبيبة

• الفنان في بلدي قد لا يجد من يشتري لوحته على الرغم من التعب والتكلفة التي يبذلها على لوحته

• أحب رسم الطبيعة لأنها مصدر الإلهام الأول وهي الرحم الذي تتولد منه الفنون

عبير منون فنانة تشكيلية لها بصمتها الواضحة على اللوحة التي تنجزها ليس من خلال الموضوعات التي تتناولها بل من خلال الأسلوب والألوان اللذين يحددان شخصيتها وأسلوبها الفني الذي يميزها عن غيرها من الفنانات السوريات اللواتي يحاولن وضع بصمة خاصة بهن من خلال المواضيع المختارة التي غالبا ما تتحدث عن قضايا إنسانية تعكس تلك الاهتمامات التي لا تنفصل عن الواقع بل تؤكد التحامها به وتعبر عنه من خلال تلك المساحات البيضاء التي تشغلها بالألوان المعبرة بشكل أو بآخر عن تلك الاهتمامات الإنسانية..

عبير منون من مواليد حمص ١٩٧٤ تهوى الرسم وتعشق الكتابة عن بداياتها قالت:

بدايات مبكرة

بدأت الرسم في سن مبكرة وكان كل من المعلمين ورفاقي يثنون على موهبتي في المرحلة الابتدائية والإعدادية والمرحلة الثانوية وقد كنت أشارك في المعارض الفنية التي تقيمها المدرسة وروابط الشبيبة وكان آخر معرض شاركت فيه في تلك المرحلة كان في الثالث الثانوي ١٩٩٢ حيث شاركت بلوحتين وطنيتين في إحدى المناسبات الوطنية ونالت لوحة من لوحاتي المركز الأول وتم تكريمي من رابطة الشبيبة... وشاركت على مستوى محافظتي بمعارض عديدة أقامها المركز الثقافي في مدينة حمص والاتحاد النسائي من قبل وقد كرمني المحافظ وقتها.

المرأة السورية أثبتت أنها جبارة

وعن اهتمامها بموضوعات المرأة قالت: أحببت رسم المرأة كثيرا لأنها تعني الأخت والزوجة والأرض والوطن.. إنها تعني المعاناة الممزوجة بأحاسيس القهر وخاصة في هذه المرحلة التي تعيشها البلد الحبيبة سوريا وهي تنزف ألما على خيانة العالم لها وهي بلد المحبة والتسامح والكرم. لقد فقدت المرأة زوجها وأخاها وابنها وقدمت أبناءها شهداء للوطن فكانت الأحمال عليها كبيرة. أثبتت المرأة السورية أنها جبارة قياديه. وأنا من الناس المتابعين لجميع أعمال الفنانين السوريين حيث أزور بشكل دائم صالة نقابة الفنون الجميلة لأرى المواضيع التي يتم عرضها إضافة إلى أنني من محبي أعمال الفنان منيف كنوزي والفنانة ميسون حبل والفنان إياد بلال والفنانة أوديت ديب وأعشق ما قدمه المرحوم فاتح المدرس حيث ظهر تأثره الواضح بالمدرسة الانطباعية من خلال لوحاته.

أمنيات

مجموعة من الأمنيات تأمل تحقيقها ومنها: أن يأخذ الفن التشكيلي جانباً أكبر من الاهتمام يوازي الاهتمام بالدراما السورية لأن بلدنا عامر بالفنانين الرائعين الذين لم يأخذوا فرصهم كغيرهم ولا يوجد اهتمام بهم وبأعمالهم كما تفعل البلدان الأوروبية التي تدعم الفنان من كل النواحي فالفنان في بلدي قد لا يجد من يشتري لوحته على الرغم من التعب والتكلفة التي يبذلها على لوحته ففي السنوات السابقة كان هناك اهتمام كبير بالدراما السورية حيث بنيت مدينة لتصوير المسلسلات الشامية على سبيل المثال وأتمنى أيضاً أن يتم الاهتمام بالفنان التشكيلي وأن يتم إحداث نقابة خاصة بالفنانين الموهوبين من تصوير فوتوغرافي ونحت ورسم فالفنان السوري مبدع ويستحق الاهتمام وقد حاولت الانتساب لنقابة الفنانين التشكيليين فقدموا شروطا لم أستطع تنفيذها مع أنني درست المدارس التشكيلية وقدمت بعض الدراسات في الصحف المحلية عن بعض اللوحات العالمية.

عاشقة للألوان

وتضيف الفنانة منون:

إلى جانب الرسم أحب كتابة القصة القصيرة والطويلة وقد صدر لي عن طريق اتحاد الكتّاب العرب مجموعة قصصية بعنوان «غفران» والثانية قيد الطباعة بعنوان «ظلال الروح».. فأنا ألجأ للكتابة في حال لم يتوافر لي الوقت الكافي للرسم...فالرسم بالنسبة لي هو معرفة الحجوم والفراغيات ومعرفة الناس وكيفية التعامل معهم هذا الفن الذي يعتمد على الألوان في بناء موضوع ما هو عالم آخر بعيد عن الواقعية فما لم تخطه أناملي بالكتابة كانت تخطه ريشتي بألواني...

غالبا ما يفسر الحال التي ترافق الفنان هي الألوان وأنا عاشقة للألوان المشتقة كاللون الأخضر والبرتقالي والبني والوردي لأنها تمثل حالة تمرد على الأساس أي الواقع ويشدني اللون البني لأنه مواكب بدرجاته بين ألوانه القاتمة والفاتحة و يشير إلى الحنين إلى الماضي بدرجاته.

ابنة الطبيعة

وتختم بالقول: أنا ابنة الطبيعة أحب رسمها لأنها مصدر الإلهام الأول وهي الرحم الذي تتولد منه الفنون فكبار الرسامين اشتهروا لأنهم رسموا الطبيعة وأبدعوا وأنا أشعر بحاجتي الشديدة للانصهار مع عناصر الطبيعة لذلك أتوق دائما لرسمها فكبار الرسّامين التجريديين رسموا لوحاتهم الأكثر غرابة وتعقيداً من حيث تركيبها، لأنها تولّدت من عناصر طبيعية خارجية.

هجرة الطيور

إريك ستاغنيليوس (١٧٩٣ -١٨٢٣)

• ترجمة: سعاد إبراهيم

الطيور المهاجرة
أنظر إلى اسراب الطيور
المهاجرة من شواطئها إلى
بلد بعيد
أصواتهم الشاكية
تظهر بوضوح
أين نحط الرحال..؟
بماذا تنصحنا يا الله..؟
هجرنا الخوف
تلك الديار الاسكندنافية
حيث كنا سعداء
في الرياح المزهرة
بنينا اعشاشنا
كي تتأرجح بأمان
الان ..نحن راحلون الى
المجهول
في قبعة وردية
فوق الشعر الذهبي
ظللتنا ليلة نصف الصيف
نسميها العليل خدرنا حتى
الصباح
من جديد..
ايقظنا فحمها المشتعل
الأشجار الجميلة تنحني
حول خصلاتها
تلك اللآلئ ترش اشواكها
هو زلزال الأشواك الكبيرة
الآن شجر البلوط مدمر.

التضحية
من أجلك يا ملاكي الجميل
لآخر مرة أشعل
ناري الذبيحة ،الهائمة مع
ريح الشمال
مع اغنية الحمامة الرقيقة

اودعك
وردة ندية في بستان الشعر
المكسور
من دموع العاطفة الوليدة
آماندا..!
اللطيفة ..المتلألأة
من تدرك ان الجروح
لاتخفيها الدموع
السابحة في ومض الجير
الأرجواني
الفرحة التي اوقعتني
حررتني من شغف العاطفة
اختفى لهيبي
كشعلة ترفع نفسها عن
المذبح
كي تذوب مع الهواء
لم يعد اثر للعذاب في قلبي
ولاتنهدات في عودي الفضي
ولا في العالم الخالد
أسطورة حبي الوردية..
لاحياة لقيثارتي
ولا ذكر لها بعد الآن
ولا عاطفة لمراهق ترافق
حلمه
ايتها التنهدات الطويلة
لا أسم ولا ذكرى لك بعد
الآن
انظري الى وردة السرو
الأرجوانية
كم هي متألقة..!
وساقها المسلحة بالأشواك
ايام الربيع
سرعان ماتذبل وتخفض
راسها الشاحب
حيث ريح طقس الشمال
يطارد رمادها.

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول: مالك صقور
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: أ.محمد حديفي

مدير التحرير: د.حسن حميد

الإشراف الفني: نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني: مها حسن

هيئة التحرير: أمير سماوي، د. سليم بركات، سهيل الديب، علوش عساف، عماد نداف، محمد الحفري

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000ل.س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني hotmail.com@alesboa2016
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

•أ.محمد حديفي - رئيس التحرير

غسان حنا ورحيله الموجع

آخر مرة التقينا، حيث كان الوقت صيفاً، وكان ذلك في مبنى اتحاد الكتّاب العرب، إذ دخل مكتبي وبيده قصيدة يرغب بنشرها في الأسبوع الأدبي، ولأنني أعرف شعره الرصين ذا المعنى الإنساني العميق قلت له: قصيدتك وكل ما تكتبه من شعر يستحق الاهتمام، ابتسم وجلس على كرسي، وراح يحدق بلوحة معلقة على الجدار في غرفتي، ثم نهض واقفاً واقترب من اللوحة، وراح يتأملها من جميع الجهات، وحين لاحظ أنني أتابعه قال: يستهويني الإبداع الحقيقي حينما يصدر عن فنانٍ مبدع، واستطرد قائلاً: في تقديري أن الشعر لا يختلف كثيراً عن الرسم، فالرسم تعبير بريشة الرسام، بينما الشعر رسم بالكلمات. قلت له: أوافقك الرأي. وأضيف: إن الإبداع الحقيقي بأي نوع قدمه المبدع، وبأي شكل صاغه يظل آسراً، ناهيك عن أنّ عليه أن يحمل رسالة، فللفنان أي فنان حقيقي مبدع رسالةً يحملها، ولا شك بأنها ستكون مفيدةً للإنسانية جمعاء، ولا بد من أنها ستقدم شيئاً لتضيف قيمة جديدة إلى السائد في الحياة، وعندها يصير الجمال لغةً تلون الحياة، وتخفف من وطأتها الثقيلة.

أمضينا معاً قرابة الساعة نتناول أطراف الحديث، حدثني خلالها عن واقعه اليومي المعاش ومعاناته التي يكابدها وهو يواجه ككل السوريين في هذه المرحلة شظف العيش وقسوة الحياة، والضغوط الاقتصادية التي تراكمت جراء الهجمة العدوانية الشرسة التي تتعرض لها سورية من طغاة الكون الذين جندوا مرتزقة العالم للنيل من صمود شعبها وبسالة جيشها موقناً أن هذه البسالة وهذا الصمود لن يذهبا هدراً، إذ سيأتي اليوم الذي ترتفع في سورية رايات النصر بعد أن تكنس جميع الإرهابيين الدخلاء، ويقطف الشعب السوري ثمار صبره وصموده..

حين بلغني نبأ رحيل هذا الشاعر المجيد أيقنت أن مسيرة الإبداع في سورية فقدت أحد أركانها المخلصين للكلمة الصادقة الرصينة، وأن الشعر السوري الحديث فقد ركناً هاماً من أركانه، وشعرت بالغصة والمرارة حين رحت أستعرض الكم الكبير من المبدعين السوريين الذين ارتحلوا منذ بداية هذا العام والأعوام التي خلت ناهيك عن الأدباء والمبدعين الذين قضوا وأسرهم شهداء بعد أن طالتهم يد الظلم والغدر، فأزهقت أرواحهم الطاهرة ودمرت كل ممتلكاتهم التي جاءت حصيلةً للتعب والعرق والجهد الذين تم جمعهم طوال رحلة من الكد والشقاء.

حين نفقد قامةً إبداعية كقامة غسان حنا الشاعر المبدع نحس بغصةٍ في القلب، وحرقة في الروح لأن الذي اختطفه الموت من ساحة الإبداع، فغادرنا وهو في أوج عطائه وقمة إبداعه سيترك أثراً كبيراً في ساحة الشعر والإبداع، وهنا ليس لنا إلا أن ندعو لروحه وأرواح جميع من غادرنا من المبدعين والشعراء والشهداء بالراحة والسكينة، ونحن على ثقة أكيدة بأنه وبالرغم من الفراغ الذي تركه هؤلاء الراحلون جميعهم ستبقى الساحة حافلةً بمبدعين يواصلون المسيرة، ويبنون على أسس وثوابت رسخها الكبار من المبدعين الذين أدوا رسالتهم كاملةً في حقول الوطنية والفن والإبداع..

يرحل الشعراء والمبدعون إلى جوار ربهم حيث السكينة والخلود، وتبقى أعمالهم التي تركوها خلفهم منارةً تضيء الدرب، وتهدي الأجيال إلى طرق وهضاب مكللة بالغار، ومضاءةً بالنجوم..

غسان حنا الذي ارتحل عن عمر ناهز السبعين عاماً ولد في قرية «المراح» محافظة اللاذقية عام 1948 كان مبدعاً متعدداً إذ كتب الشعر والقصة والمسرح، واهتم بأدب الأطفال، وخلال مسيرته الطويلة ترك خلفه العديد من الأعمال الإبداعية نذكر منها:

في الشعر: أوراق اعتماد، الدخول في الزمن، أبجدية التجلي، توشيحٌ على مقام الليل، روحان لجسد واحد.

وفي المسرح: مملكة الغبار، في الظلال، حتى يدحرج الحجر.

في القصة: حافلة التراب.

أما مسرح الأطفال الذي كرّس له الكثير من وقته في أيامه الأخيرة. كتب اثنا عشر أوبريتاً غنائياً قُدمت في المهرجانات القطرية وهي: الأم الثانية، أرض اللواء، أحلام الفضاء، سيمفونية المجد، قرية الأغاني، زورق الطموح، فجر الأمل، أنشودة الوفاء، بنفسجة النار، وفاء الأبناء، فجرٌ بلا نهاية.

وكذلك ترك خلفه مخطوطاً معداً للطباعة بعنوان: «لأني أحبكم وهو شعر موجه للأطفال»..

بعد هذا العمر الحافل بالسهر والتعب والعطاء والإبداع لا نملك إلا أن نذرف الدمع على شاعر غادرنا وهو في قمة عطائه وإبداعه، وندعو لروحه الطاهرة بالسكينة والخلود.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

أمشي وفي قلبي غزال

عن دار «ظمأ» للطباعة والنشر والتوزيع صدر للشاعرة مها هنيدي ديوان شعر جديد بعنوان: «أمشي وفي قلبي غزال». وقد تضمن الديوان عدة قصائد فيها الكثير من الحرفية والحداثة والإبداع، إذ اتخذت الشاعرة مجالات ثلاث سلكتها وهي أشبه ما تكون بفصولٍ تنوعت بين الحديث عن الحب والمجتمع والوطن.

ومن أجواء الديوان:

هل كان ذلك صدفةً
أني أعيش؟
أنا الصبية ابنة الستين
يسري في العروق دمٌ جديد
وأنا الصبيةُ لا أزال
أمشي وفي قلبي غزال
ويمرُ في خلدي شريطُ الذكرياتْ
من قال إن القلب ماتْ

الديوان من إخراج وتصميم دار ظمأ ولوحة الغلاف للفنان كرم الأطرش